

# الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفقهها

١٣١١ - ١٣٨٩ هـ

للدكتور: محمد بن سعد الشويعر

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين  
والآخرين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه  
أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعد :

فإن القلم يقف مع الأفكار التي تتداعى في اختيار من يكتب  
عنه، واستحضار مكانته في النفوس، وأثره في الأمة، ذلك أن  
الأسماء المطروحة كثيرة، لكن الذي ترك بصمات بارزة، وتعلقت  
به الأفئدة، هو الذي تشرَّب الأعناق لاستطلاع سيرته، وتذوَّق  
مسيرة حياته، حيث يتفتق الحديث عنه، إلى مواقف وعبر .

وهذا النوع من الرجال، بهم ندرة في كل مجتمع؛ لأن  
مكانتهم وأثرهم تعظمان بعد خلو الميدان منهم .

وحديثنا في هذا الموقف، عن عالم جليل القدر، جم  
التواضع، هو من القلة النادرة من الرجال، الذين تكبر مكانتهم  
بعدهما تقلب سيرة حياتهم، وعند استجلاء مواقفهم، قد منحه الله

خصالاً شتّى : شدة في غير عنف، ولين من دون ضعف، علاوة على ما خصّه الله من ذكاء وفطنة، وورع وتقى .. مع حبّ للمساعدة وعطف على المحتاجين .

ومن تتبع سيرته : المرصود منها والمحفوظ، يتضح له أنه إمام في علمه واجتهاده، جبل أشم في تصديه للتيارات الوافدة، إذ هو من النواذر الذين يبرزون على الساحة بين وقت وآخر، وممن ينطبق عليه قول الشاعر :

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم

وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

إنه العالم الفذّ، إمام عصره، الذي جمع الله فيه خصالاً عديدة، مع الإخلاص، والاهتمام بالعلم ونشره، إلى جانب الحكمة في معالجة الأمور، وبُعد النظر في تحرّي العواقب، وتلمّس ما فيه الرأفة بالأمة .

إنه مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاائها : الشيخ محمد ابن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، رحمهم الله جميعاً<sup>(١)</sup> .

ولئن كان الشيخ محمد علماً من الأعلام البارزة، المرتبطة بتاريخ المملكة العلمي والقضائي والفتوي، والمعروف لا يعرف

(١) وقد وصل محمد بن قاسم نسبه إلى تميم في ٣٧ جدّاً، ثم إلى نزار بن معد بن عدنان . انظر (مجموع فتاوى سماحته) ج ١ ص ٩ .

به، فإنه حيّ في ذاكرة كل من عرفه بأعماله وحكمته، ولذا فإن البحث، والحديث مع عارفه، يجعلني أتقاصر الجهد الذي يبذل في التعريف بسيرة حياته؛ لأنه موطن خصب للدراسة، ومنبع ثرّ لمن يعرف بالجوانب العديدة في حياته، وكل جانب يستحق الدراسة المتأنية: فالشيخ محمد في علمه، والشيخ في أسلوبه في التعليم، والشيخ في تشجيعه للعلم، والشيخ في بُعد نظره، والشيخ في حكمته وزهده، والشيخ في صبره وجلده، والشيخ في حكمته ومعالجته للأمور، والشيخ في جرأته وفتاواه، كل هذه جوانب تستحق الأفراد بدراسة مستقلة؛ ليظهر من ذلك مكانة هذا الرجل، وما كان يؤدي من أعمال، والشغور التي كان يسدّ.

وما سوف أقدم في هذه العجالة، ما هو إلا جهد المقلّ المحكوم بزمن معين، وحجم محدود، سأسهم به مع المترجمين لحياته، لما له من مكانة في الأنفس، وذكرى طيبة يرددها كل من عرفه، أو سمع عنه، إلى جانب الآثار التي خلدها أعماله.

وسأكون في هذا عالة على من سبقني في الحديث عنه، حيث وضعوا الصّوى على الطريق، إلا أن أمثاله من العلماء الأفاضل لهم حق على عارفهم بتجديد الحديث عنهم، لما لهم من حق على عارفهم، ولما لهم من سابقة، وبما يمتازون به من قدم راسخة وشجاعة. فالشيخ محمد - رحمه الله - مع تواضعه له هيبة، ومع ما أحلّه الله من مكانة فإنه يبذل جاهه، ولا يبخل بمساعدته للمحتاج، ومع علمه ومكانته، يمتاز بالتبسط والمزاح مع الإنسان العادي، ولا يضمن بالتفقد لحال الضعيف.

وفي هذه المساهمة، سوف أحاول الإلمام بجوانب من حياة هذا العالم الكبير في علمه وقدره، الصغير عند نفسه، الباذل لعلمه، المحب لطلابه، المدافع عن العلماء والقضاة الذين أنيطت به مسئولية عملهم .

### مولده ونشأته :

أجمع الكاتبون عن سيرة الشيخ محمد - رحمه الله - على أنه ولد في السابع عشر من شهر محرم سنة ١٣١١هـ بمدينة الرياض، وأنه نشأ في بيت علم وفضل، فأبوه الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف كان عالماً، أسند إليه الملك عبدالعزيز قضاء الرياض من عام ١٣٢١هـ، إلى أن توفي عام ١٣٢٩هـ، إلى جانب جلوسه للتدريس . وجده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن درس في الأزهر بمصر، بعدما نقله إبراهيم باشا مع أسرته لمصر بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ - ١٢٣٤هـ، وقد نال مكانة علمية كبيرة في مصر، ثم بعدما عاد منها : في الدعوة والتأليف والتعليم .

وجد والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب مؤلف كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقد قدم من مصر عام ١٢٤١هـ بعدما نفيت أسرته إلى هناك مع من نفى من آل سعود وآل الشيخ وغيرهم بعد هدم الدرعية . . وكان عالماً ورعاً أثنى عليه ابن بشر في تاريخه في علمه وسعة أفقه<sup>(١)</sup> .

(١) لراغب الاستفادة ينظر (عنوان المجد) لابن بشر حوادث عام ١٢٤١هـ ج ١، و (مقدمة فتح المجيد) ص ٣ - ٤ .

وكل واحد من فروع هذه الشجرة الطيبة، له شهرة علمية، وفضل لا يضاهى في سبيل نشر الدعوة، وتصحيح العقيدة، وحماية جناب التوحيد، توارثوا العلم كابراً عن كابر، فكانوا مصاييح تضيء دجى الجهل، وعلامات يسترشد بها الساري في الذود عن العقيدة .

ففي الرياض نشأ مجدد الدعوة، ومحبي السنة، الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي ربوعها درج، حيث بانت علائم النجاة عليه منذ صغره، وفي حي دخنة، حيث بيوت العلم من آل الشيخ خاصة، ترعرع وتفتح ذهنه على طلب العلم، فأدخله والده مدرسة الكتاب : لدى عبدالرحمن بن مفيريج وهو في الثامنة من عمره، ولنباهته وشغفه بالعلم فقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم درس بعد ذلك التجويد .

وكانت دراسته عند ابن مفيريج على مرحلتين : المرحلة الأولى وهو مبصر من الثامنة حتى الحادية عشرة حيث ختمه نظراً، والثانية بعدما أصيب بمرض الرمذ في عينيه في السادسة عشرة، حيث استمر معه المرض سنة كاملة، كف بصره على أثره، فعوّضه الله البصيرة، فعاد إلى الكتاتيب فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) لعبدالرحمن بن عبداللطيف ص ١٦٩ ، لكن ابن قاسم يرى أنه حفظ القرآن نظراً وهو ما بين الثامنة والعاشرة . الفتاوى ١ : ٩ ، ومحمد القاضي في ( روضة الناظرين ) يرى أنه حفظه =

لكن الشيخ عبدالله بن منيع في حديثه عن سماحته قال :  
 « فمن حين بلغ السابعة من عمره شرع يتعلم القرآن الكريم في  
 كتاب للمقرئ عبدالرحمن بن مفيرج فأتى قراءته وإجادته، ثم  
 شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما بلغ الحادية  
 عشرة حتى أتمه حفظاً »<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من اختلاف بين الكاتبين عن سماحته في العمر  
 في بدء الدراسة، وختم القرآن، فإن هذا الاختلاف ليس بكثير،  
 وهذا من الأمور المعتادة لكثير ممن يترجم لحياتهم في فترة  
 متأخرة، بعدما علت مكانة الشيخ، وسما نجمه .

ذلك أن المعلومات الأولية عن حياة الشيخ محمد - رحمه  
 الله - تجمع من الذاكرة، ومن مساءلة العارفين به، وليس  
 بمستغرب حصول الاختلاف في التاريخ الذي لم يدون .

ومثل هذا الاختلاف أيضاً، حصل في تحديد السن التي فقد  
 فيها البصر، ولكنه أخف، إذ عبدالله بن رويشد في كتابه « قادة  
 الفكر الإسلامي » يرى أنه فقد البصر، ولمّا يبلغ العاشرة من  
 عمره<sup>(٢)</sup>، ويرى عمر رضا كحالة في مستدرکه على معجم  
 المؤلفين، نقلاً عن خير الدين الزركلي في الأعلام، أنه فقد بصره

= وهو في العاشرة من عمره ٢ : ٣٢٦ .

(١) انظر ( مجلة البحوث الإسلامية ) العدد ١٨ ص ٢١٣

(٢) ص ٤٠٥ .

في الحادية عشرة من عمره<sup>(١)</sup>.

ويرى الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه « مشاهير علماء نجد وغيرهم »<sup>(٢)</sup>، والشيخ محمد بن قاسم في مقدمة مجموع فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم<sup>(٣)</sup>، أنه أصيب بالرمد وهو في السادسة عشرة من عمره في عينيه فكف بصره .

والشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع الذي لازم سماحته آخر عمره قرابة خمسة عشر عاماً، يرى : أنه كف بصره وهو في السابعة عشرة من عمره، حيث حدثنا سماحته عن نفسه بذلك<sup>(٤)</sup>.

وأجدني أميل مع الشيخ عبدالله بأن بصره كف وهو في السابعة عشرة؛ لأنه أسند هذا الرأي للشيخ محمد نفسه - رحمه الله - فيكون أخذ العلم عن مصدره؛ لأن أصدق وأوثق ما يكتب في السير الذاتية، ما كانت المعلومات بحديث المترجم له، إنباءً عن نفسه .

أما الرأيين في مشاهير علماء نجد، ومجموع فتاوى سماحته، فلعلهما عبّرا به عن بدء المرض، الذي استمر معه سنة، بفقدان البصر، ومعلوم أن النتيجة لا تتم إلا بعد البرء من

---

(١) (المستدرك لمعجم المؤلفين) ص ٥٨٢، و (الأعلام) للزركلي ٥ :

٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢) ص ١٦٩ .

(٣) ص ١ : ٩ .

(٤) انظر (مجلة البحوث الإسلامية) العدد ١٨ ص ٢١٣ .

المرض، والبرء تم وهو في السابعة عشرة، ولعلهما اعتبرا فقدان البصر، مع بداية المرض . وبذا يمكن التوفيق بين الرأيين .

إن مرض عيني الشيخ محمد، ثم فقدان البصر، لم يُفْتًا في عضد الشيخ محمد - رحمه الله - ولم يوهنا عزمته عن طلب العلم، لوجود سببين هياهما الله له : الأول : النشأة في المحيط العلمي وترغيب والده له في العلم، فتلازم الدافع مع الترغيب، ونمى ذلك ما جعل الله في قلبه من حبّ للعلم، الذي وجد أسبابه ميسرة، والترغيب فيه مبسوطاً، وكأن الشاعر عناه بقوله :

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عودّه أبوه

والسبب الثاني : الموهبة التي خصّه الله بها : من ذكاء فطريّ، وحافضة وقّادة؛ لأن العلم لا بد له من وسيلة معينة على التحصيل، ووعاء يحفظ العلم، وهاتان الخصلتان قد خصّ الله بهما الشيخ محمداً، منذ تفتح ذهنه على الدنيا .. فالله جلّت قدرته، إذا أراد شيئاً هياً أسبابه .

### طلبه العلم :

للبيئة التي نشأ فيها المرء أثر في توجيه مساره في الحياة، وللنفوس دور في التعلّق بما تفتّحت عليه العيون، ووعته الذاكرة، حسبما هو دائر في محيط الإنسان .

والشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - الذي نشأ في بيت علم، ومن سلالة علم، ونشأ في محيط كله شرف ودين، مقروناً



الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفتيها ————— د. محمد بن سعد الشويعر

فيه القول بالعمل، قد تولّد عنده حب العلم، والحرص عليه، منذ بدأ يعي ما حوله، وقد اهتم به والده الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف عالم الرياض، وقاضيتها : توجيهاً وترغيباً، عندما أدرك من ذكاء ابنه وفطنته ما يهيئه للأخذ من العلم بنصيب وافر .

فالشيخ إبراهيم يقصده الطلاب في مجالسه ودروسه ليأخذوا عنه، ويستفيد منه العامة في فتاواه، ومن القضايا التي تمر عليه في المنازعات وغيرها، وضمن توجيهاته في الدعوة والإرشاد .

والعارض الصحي الذي قدره الله على عيني الشيخ محمد، لم يسلمه لليأس، بل زاده جداً، وعزماً على المضيّ قدماً في مشوار العلم، - كما مرّ بنا من قبل - يساعده أمران :

- دافع وجداني ؛ لأن العلم تغلغل في جوانحه، والإصرار على الأخذ بأسبابه استحوذ على مشاعره .

- ودافع ممن حوله شدّ عضده، وشجعه على الطلب : من الأب الذي يمحمّضه نصحه، ومن الأسرة العلمية التي اهتمت به، أخذاً وعطاءً ودعوةً .

فكانت بداية المشوار العلمي للشيخ محمد - بعد أن استسلم لقضاء الله، ورضي بقدره عندما فقد حبيبته - أن أعاد القرآن الكريم حتى ختمه حفظاً، في فترة وجيزة، إذ عوّضه الله عن البصر البصيرة، وعن الإحساس بالنظر لما حوله الذاكرة التي تستوعب ما يلقي إليها، والنهم العلمي الذي جعله يطلب المزيد باستمرار .

واهتمامه بالقرآن الكريم أولاً، جاء من مكانة القرآن الكريم من قلبه؛ لأن كل طالب يراه مجمع العلوم وأساسها .

وقد جعل الصبر والمثابرة مطيته في طريق العلم، محتملاً في سبيل ذلك المشاق، مع التواضع في الأخذ، والتأدب مع المعلمين، فالعلم لا يناله مستكبر ولا مستح، مستعيناً على ذلك بالله، ثم الدعاء وحسن العبادة مع خالقه، متأسياً بقول الشاعر :

لأستسهلنّ الصعب أو أدرك المنى

فما انقادت الآمال إلا لصابر

ذلك أن العلم الذي هو ميراث الأنبياء، له أدب في الأخذ، وواجب في العطاء، وحق لازم عند من أخذه، كما جاء في الحديث الصحيح : « إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم » . وفي بعض الروايات زيادة : « فمن أخذه أخذه بحقه »، وحق العلم التبليغ .

وطالب العلم الصادق في النية، يضع نصب عينيه في طلبه : الإخلاص لله، والاهتمام بتبليغه، والتواضع في حلقاته، والتأدب مع معلميه، والحرص على تبليغه، والاهتمام بأمانته، وعدم ممارسة السفهاء فيه، والعهد على ذلك، ومن صدق مع الله، وعلم منه سبحانه حسن النية في ذلك، أعانه الله في طلبه للعلم، ويسر له سبله، حتى يبلغ غايته .

والشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - الذي ظهرت عليه النجابة مبكراً، قد حرص على أن تكون هذه الأمور أمامه منذ

بداية المشوار، عُدّة تُعينه على المسيرة وتخطي العقبات، متأسياً في ذلك بسير أعلام الإسلام، وعلماء السلف من المسلمين، ومتأثراً بأقرب الناس إليه، حيث يشدّ طلاب العلم رحالهم إلى مدينة الرياض، التي أصبحت محطّ الأنظار لتوافر العلماء، رغم ما يكتنف هؤلاء الطلاب من مشقة في الترحل، وفراغ في اليد، إلا أن المورد العذب شوّقهم لينهلوا منه . ومن رحمة الله بهذا الشاب المتوثّب - الشيخ محمد - أن كانت المناهل العذبة، تحت سمعه وبصره، فدفعه ذلك إلى المزاحمة والمثابرة، فبدأ قراءة المختصرات العلمية من مؤلفات جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفقه والعقيدة، وهي رسائل مركزة في محتوياتها، مبسطة في أسلوبها، سهلة في فهمها، مما ترغّب الطالب، ولا تثقل على المبتدئ وتشوّق إلى المزيد . وإلى جانبها كان يأخذ مبادئ النحو والفرائض .

كانت هذه البداية على يد والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، الذي كان له خير موجه ومعين ومرغّب، فكان الأب يعطي ابنه من هذه العلوم بقدر ما يتلاءم مع رغبته وقدراته، كالطبيب الذي يصف جرعات الدواء . . فلا يزيده ليملّ، ولا ينقصه ليتألّم ويتحسّر .

لكن همة التلميذ، وما حباه الله من فطنة وذكاء، كل ذلك جعله يستوعب هذه المختصرات في فترة وجيزة، مع حفظها عن ظهر قلب .

ثم زادت رغبته في التحصيل، وسمت نفسه إلى المزيد من العلم، كالظمآن الذي أُعطي جرعات قليلة من الماء، فزادته هياماً؛ لأنه رآها لا تروي ظمأً، ولا تسدّ حاجة .

ولما كان لعمه العلامة الورع الشيخ عبدالله بن عبداللطيف عالم الرياض، وحكيم علمائها، حلقات في العقيدة، فإن الشيخ محمداً وجدها فرصة مهياة لينتظم فيها، فبدأ بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم العقيدة الواسطية، تلتها الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فحفظ ذلك. كما قرأ عليه في أصول التفسير والحديث أيضاً .

أما فقيه الرياض ومحدثها، الذي جعل الله له قبولاً لدى الخاص والعام، الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق، فقد قرأ عليه الحديث والفقه، ومصطلح الحديث، ولسعة علم الشيخ سعد، فقد حرص الشيخ محمد على ملازمته، والنهل من مورده العذب، فاستفاد منه كثيراً .

أما الشيخ حمد بن فارس اللغوي البارع، فقد أخذ عنه الشيخ محمد في اللغة العربية : ألفية ابن مالك، وقرأ عليه في بعض المؤلفات في النحو، كما قرأ عليه في الفقه أيضاً .

وازداد في علم الفرائض، بما تعلمه على الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود العنزي، عندما نزل الرياض واستوطنها<sup>(١)</sup> .

ويذكر ابن قاسم في تفصيله لمناهل العلم : أنه أول ما

(١) يراجع في هذا ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٠ .

الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفتيها ————— د. محمد بن سعد الشويعر

أخذ الفرائض عن والده الشيخ إبراهيم، ثم عن الشيخ عبدالله بن راشد، ومما قرأ عليه في ذلك ألفية الفرائض، والعقيدة وعلومها، أخذها عن عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، ثم كتاب التوحيد، وأصول الإيمان، وفصائل الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب والدلائل [حكم موالاة أهل الشرك]، للشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والعقيدة الواسطية، والعقيدة الحموية، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ الفقه أولاً عن الشيخ حمد بن فارس، ثم عن الشيخين سعد بن حمد بن عتيق، ومحمد بن محمود المتوفى عام ١٣٣٣هـ، ومن كتب الفقه قرأ زاد المستقنع .

عن الشيخ حمد بن فارس أيضاً أخذ علم العربية، ومما قرأ عليه في هذا الفن : الأجرومية والملحة، والقطر والألفية .  
وفي الحديث وعلومه قرأ بلوغ المرام، وثلاث المنتقى على عمه الشيخ عبدالله، ثم أعاد بلوغ المرام على الشيخ سعد بن عتيق، وعليه أيضاً قرأ ألفية العراقي في مصطلح الحديث .  
ثم قال : هذا ومن المستفيض أن الشيخ رحمه الله، كان كثير الدأب على المطالعة في مختلف الكتب وتدريسها، فكان هذا مصدراً ثانياً غنياً بتنمية حصيلته العلمية، وتوسيع أفقه، أعانه على ذلك ما عرف عنه من حدة الذكاء، ورجاحة العقل<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر (فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم) ١ : ٩ - ١٠ .

والشيخ محمد بن عثمان القاضي، قد أجمل في كتابه : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين في ترجمته للشيخ محمد - الحديث، فقال عن شيوخه : بعد أن حفظ القرآن الكريم شيئاً فشيئاً حتى أكمله، صار والده يدارسه القرآن، ويحفظ المتون العلمية من فقه وفرائض، وحديث وتوحيد، على أبيه وعمه، وكان أبوه قاضياً لمدينة الرياض، ولازم علماء الرياض ليله ونهاره، ومن أبرز من لازمه الفقيه المحدث، الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود، والشيخ حمد بن فارس؛ لازم سعداً في الفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والفرائض . . ولازم حمداً في علوم العربية كلها، وابن جلعود في الفقه والفرائض وحسابها، ولازم أباه وعمه عبدالله بن عبداللطيف بأصول الدين وفروعه، وبالحديث والتفسير، وأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى نبغ في فنون عديدة، وكان لا يحسن بالملل في المطالعة والقراءة، ولا يسأم . وكان مفرط الذكاء، قوي الحفظ، سريع الفهم، وكان المشايخ معجبين بفرط ذكائه ونبله، ويقولون : سيكون لهذا الفتى شأن .

ولما توفي أبوه عام ١٣٢٩هـ، وصيَّ به عمه عبدالله، وكان يحثه على المثابرة في طلب العلم<sup>(١)</sup>.

والشيخ عبدالله بن منيع في ترجمته لحياة الشيخ محمد، التي استقى أغلبها من سماحته مشافهة، يقول : هو من أكابر

(١) انظر ( روضة الناظرين ) ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

علماء نجد ومشاهيرهم، فاحتذى الابن سُنَّةَ أبيه، فمن حين بلغ السابعة من عمره، شرع يتعلم القرآن الكريم في كتاب المقرئ عبدالرحمن بن مفيريج، فأتم قراءته وإجادته، ثم شرع في حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما بلغ الحادية عشرة حتى أتمه حفظاً، ثم شرع في طلب العلم، فأخذ في القراءة على أبيه وعمه علامة نجد في زمنه، الشيخ عبدالله بن عبداللطيف .

وقراءته الأولى في التوحيد، وأصول العقيدة، قراءة حفظ وتفهم، ثم قرأ مختصرات كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومختصرات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، كالواسطية والحموية، وكذلك غني بمختصرات النحو والفرائض، كالأجرومية والرحبية .

ولم يثن عزمه كف بصره، ولا تصميمه في طلب العلم، بل صبر واحتسب، وزاد هيامه في تحصيله، وقضى أيام حياته في إدراكه، فشرع في القراءة على علماء الرياض، زيادة على القراءة على عمه وأبيه، فشرع في قراءة التفسير والحديث وأصولهما، على الشيخ سعد بن عتيق، وفي النحو وعلوم العربية على الشيخ حمد بن فارس، وفي المطولات من كتب الفرائض على الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود، فأدرك من كل هذه العلوم إدراكاً جيداً، وذكر لنا - رحمه الله - أن من مشايخه الشيخ عبدالله بن عمار<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر (مجلة البحوث الإسلامية) العدد ١٨ ص ٢١٣ .

والشيخ عبدالله بن رويشد، في مروره على ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم، في كتابه قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، قد انفرد بذكر بعض أعلام العلماء الذين تتلمذ عليهم، من أمثال الشيخ عبدالستار الدهلوي الهندي، والشيخ عبدالله العنقري، والشيخ محمد عبدالقادر الهلالي رحمهم الله جميعاً<sup>(١)</sup>.

لكنه لم يذكر الزمن والمكان في أخذ الشيخ محمد على أي منهم، مع أن العنقري من المعاصرين للشيخ محمد والمقاربين له في العمر .

ومهما يكن من أمر فإن في الكاتبين عنه، نجد اختلافاً في أسماء المدرسين الذين أخذ عنهم، والكتب التي درس، والفنون التي أخذ على كل واحد منهم . . كما أننا لم نجد من بينهم من ذكر أنه أخذ العلم في غير الرياض .

كما نخرج من هذا الكم والاختلاف أن شيوخ الشيخ محمد كثيرون، واتفاقهم جميعاً على الثناء عليه، والاعتراف منهم جميعاً له بالذكاء والعلو في المكانة العلمية . . وهذا مما يدل على الموهبة التي خصه الله بها، والمكانة التي ستيبوا، حيث كان على يديه خير كثير، من نصح وصدق، وحكمة وقفل لعدة أبواب، علاوة على الاهتمام بالعلم والعلماء، والحرص على مواكبة التطور الذي سارت فيه البلاد بالحكمة والإدارة الحسنة .

(١) انظر ص ٤٠٥ من هذا الكتاب، وصحة اسم الأخير الدكتور محمد تقي الدين الهلالي وهو من علماء المغرب السلفيين .



## جلوسه للطلبة :

جرت العادة بين العلماء، ألاّ يتصدر حلقات العلم، ولا يجلس للطلاب يقرأون عليه، ويأخذون عنه، إلا من تشبّع بالعلم، وأدرك من العلماء ما يخوله لذلك .

والشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - قد بدأت عليه علائم النجابة، وسيماء الذكاء في وقت مبكر، وقد أدرك عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف منه ذلك؛ لأنه كان يتابع مسيرته العلمية، ويسرّ بما عرف وسمع عن ابن أخيه، من نبوغ وذكاء، مع حرص شديد على العلم : حفظاً واستيعاباً، حتى أدرك واستوعب في وقت مبكر، فوق ما يدركه غيره في سنوات أكثر، فوصّى عليه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وزكاه له، من جوانب عديدة .

ولما توفي عمه الشيخ عبدالله في عام ١٣٣٩هـ، نفّذ الملك عبدالعزيز وصيته في ابن أخيه، وذلك أن الشيخ عبدالله في مرض موته، أكد تزكيته لعلم وعقل ابن أخيه، وأنه كفؤ لما يُسند إليه من أعمال، وأخبره بكفاءته العلمية، وسعة صدره في معالجة الأمور، وأنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده : في إمامة المسجد بدخنة، والتدريس، وحل المشكلات إلى غير ذلك<sup>(١)</sup> .

ويتناقل كبار السن أن الملك عبدالعزيز تحدث مع العلماء والمشايخ عند قبر الشيخ عبدالله، في وداعه الأخير وقال : الله

---

(١) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٠ .

يخلف على المسلمين بمن فيه السداد، اليوم دفننا العلم والورع، من ترون يحل مكانه . . فسكتوا . فقال : إن صدق ظني، فلا أجد أحداً يقوم مقامه إلا هذا الكفيف - ولو أنه أصغركم - بعلمه وعمله ونظرته للأمر .

قم يا شيخ محمد تراك محل عمك في جميع أموره من اليوم، الله يجعل فيك بركة، صل بمسجده، واجلس للطلبة يقرأون عليك، فهم في حاجة لمثلك .

ويذكر نجله معالي الشيخ عبدالعزيز أن الملك عبدالعزيز رحمه الله حين خرج من المقبرة بعد دفن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف جلس في الجانب الغربي من الوادي وجلس من حوله المشايخ والمشييعون فقال ما معناه : « اسمعوا لا تقولوا - وكان يخاطب المشايخ - مات ابن عبداللطيف فمن خاض فيما لا يعنيه والله لاكونن له بالمرصاد » وهدفه من هذا الكلام أنه لا يرضى من يفتي بدون أن يتلقى من ولي الأمر إذناً بالفتوى أو أي أمر لم يُسند إليه؛ حرصاً منه على الانضباط ووحدرة الفتوى . وقد سمعت وحفظت أن عمه الشيخ عبدالله وشيخه العلامة سعد بن عتيق قد أثنوا على الشيخ محمد ثناءً عطرًا، والمجتمع كله أيضاً قد أدرك فضل الشيخ محمد في علمه وشخصيته المتميزة بالعقل الراجح وحسن الخلق . وحينما تصدر للتدريس كانت مجالسه منذ أن بدأها تغص بالطلاب من داخل البلاد وخارجها .

ويقول محمد العثمان القاضي : لما مرض عمه الشيخ

عبدالله بن عبداللطيف، وزاره الملك عام ١٣٣٩هـ، قال : إن ابن أخي، قد تضلّع في العلم، وأخذ نصيباً وافراً منه، ولديه مؤهلات تؤهله لما يوكل إليه، فاستمسك بغرره .

وتوفي عمه فعينه الملك عبدالعزيز خلفاً له في الفتيا والتدريس والخطابة، في الجامع الكبير<sup>(١)</sup>، وفي مسجد عمه في حي دخنة، الصلوات الخمس، ويجلس للطلبة فيه، في مختلف الفنون<sup>(٢)</sup>.

ثم قال : فوالى نشاطه التعليمي : فبعد<sup>(٣)</sup> صلاة الفجر إلى الضحى، وبعد الظهر ساعة، وبعد العصر، وبعد المغرب مثلها، والتفّ إلى حلقة طلبة لا حصر لعددهم، ووفد إليه الطلبة من كل صوب، وظل في تدريسه حوالي نصف قرن، ولم تصدّه الأعمال الموكلة إليه من نفع الخلق في التعليم، وتخرّج عليه علماء عاملون، نفع الله بهم، ما بين أساتذة ومدرسين، وقضاة عادلين في الأصول والفروع والحديث، والتوحيد والتفسير، وصار مسجده نادياً من أندية العلم، وكان حسن التعليم، يرتب الطلبة، فكل طبقة لما يشاكلها : فالمبتدئون يجمعهم على المختصرات، والمتوسطون والمتتهون على المطوّلات، وكان واسع الاطلاع في الأصول والفروع، والحديث وعلوم العربية، وصار له نشاط في

(١) هو جامع الإمام تركي بن عبدالله بالصفة بجوار قصر الحكم .

(٢) انظر كتابه : ( روضة الناظرين ) ص ٢ : ٣١٧ .

(٣) لعله يقصد تحديد أوقات جلوسه للطلاب .

الإفتاء والإرشاد، والنصائح والتعليم منقطع النظير<sup>(١)</sup>.

لكن عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه مشاهير علماء نجد وغيرهم، قد توسع في تبين طريقة تدريسه، وأوقات جلوسه، فقال : فكان - رحمه الله - إذا صلى الفجر جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في الأجرومية<sup>(٢)</sup> في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في القطر لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في ألفية ابن مالك، وشرح ابن عقيل، فإذا انتهوا من قراءة النحو، في الألفية والشرح، قرأوا عليه في الفقه، في متن الزاد - زاد المستقنع - غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت، أخذ الشيخ في إعادة ما قرأوه من المتن من حفظه، وشرع يتكلم على العبارات، ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح الزاد : المسمى الروض المربع، شرح زاد المستقنع .. قراءة ترتيل، يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يعلق على عبارات الشارح وجمله بكلام يوضح المعنى ويزيح الإشكال، ويصور المسائل تصويراً ملموساً،

(١) انظر (روضة الناظرين) ٢ : ٣١٧، ٣١٨ .

(٢) نسب إلينا بعضهم أن الذي كان يدرّس الأجرومية هو شقيقه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم في حلقة أخرى في المسجد بعد صلاة الفجر، يوم تسميع ويوم إعراب .

ولعل الشيخ محمداً كان يدرسها، ولكن لما كثرت مشاغله أسندها لأخيه الشيخ عبداللطيف .

يقرب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم؛ لأنه - رحمه الله - آخذ بناصية علم الفقه، ومتبحر فيه تبخراً عظيماً، فإذا انتهى من تقريره على الفقه شرعوا في القراءة عليه في بلوغ المرام، فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهاراً، انصرف إلى داره، وجلس فيها، فإذا حانت الساعة الثالثة جاءه كبار الطلبة وخواصهم، وقرأوا عليه إلى الساعة الخامسة نهاراً، ثم انصرفوا، فإذا أذن الظهر، خرج وصلى بالناس في المسجد، وجاءه أهل المطولات وقرأوا عليه في مختلف الكتب، كجامع الترمذي، وصحيح البخاري، وزاد المعاد في هدي خير العباد، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في بعض المتون العلمية غيباً، مثل : كتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، فإذا أذن العصر خرج إلى داره، وجدّد وضوءه، ثم رجع وصلى بالناس العصر، وجلس في المسجد يقرأ عليه أحد الأعيان من الطلبة، في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرأوا عليه في العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي على أذان المغرب مقدار نصف ساعة، خرج إلى داره، فإذا أذن المغرب جاء وصلى بالناس، ثم جلس في المسجد للطلبة، يقرأون عليه علم الفرائض، والمواريث، فإذا ختم وأذن للعشاء قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول وتنفل، ثم أمر القارئ، فشرع يقرأ عليه في تفسير ابن كثير إلى الساعة الثانية والنصف - بالتوقيت الغروبي -، فيأمر بإقامة الصلاة للعشاء، فإذا

أقيمت وصلى بالناس تنفل وأوتر وخرج إلى داره، وهي قرية من مسجده، واستمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة، من عام ١٣٣٩هـ إلى عام ١٣٨٠هـ، حيث ترك جميع الدروس، ما عدا درس الفقه، وبلوغ المرام، فإنه لم يترك الجلوس لهما، بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض<sup>(١)</sup>.

والشيخ عبدالله بن منيع في حديثه عن الشيخ محمد - رحمه الله - ذكر توزيع سماحته وقته في التدريس بين طلابه حسب مستوياتهم، حيث يبدأ وقته اليومي، من صلاة الفجر حتى الساعة الثانية والنصف ليلاً بالتوقيت الغروبي، حيث يخلد للراحة، قال : وكل ما تقدم من دروس النحو، ودروس الفقه، ودروس الحديث في جلسة واحدة من جلساته، والتلاميذ على حلقة الكبيرة، ما بين وارد وصادر، وهو في مجلسه كالنبع الصافي، والمورد العذب، الذي لا ينضب على كثرة الواردين، وازدحام الناهلين، ثم يذهب إلى بيته، فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجاته الضرورية، ثم يعود إلى مجلسه في المسجد، فيأتيه الطلاب، ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار، والمراجع الضخام .

إلى أن قال : وهكذا فقد فرغ كل أوقاته، وصرف جميع حالاته، في خدمة العلم وتحصيله، ونشره .

ومن هذا الإقبال العظيم على العلم، والانصراف إلى مراجعته، وتدريس وسماع هذه الكتب النافعة والأسفار المفيدة،

(١) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٢ .

ندرك السرّ في سعة علمه، وكثرة تحصيله، ومدى اطلاعه . وقد لبث على هذه الحال، منذ توفي عمه في عام ١٣٣٩هـ، حتى عام ١٣٨٢هـ، حينما أسندت إليه كبار الأعمال، وتعددت مسؤولياته، وكثرت مشاغله<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر أنه عندما أسندت إليه إدارة التعليم في نجد قابل سماحته ولمس منه رغبة وموافقة على تدريس العلوم النافعة الحديثة، وأن من الخير له أن يقوي صلته بالشيخ؛ لمكانته من النفوس ولصفته العلمية التي لا تجهل، كما أن جل موظفي التعليم من تلامذته، وفي ٢٨/٢/١٣٦٩ هـ كتب تقريراً برقم ٦١ لولي العهد سعود رحمه الله، مطولاً عن اقتراحاته في التعليم، وعن رأي الشيخ محمد بن إبراهيم بعدما قابله، ويقول : لا خوف على مسار التعليم طالما كان تأسيس المعاهد والمدارس على اختلافها تحت إشرافنا الذي يتولاه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فبعثه ولي العهد برقم ٧٤٥ وتاريخ ١٣٦٩/٣/٢ هـ للشيخ محمد بن إبراهيم ليأخذ رأيه وإفادته بما يرى فيه، وكان من نتيجة ذلك فتح المعاهد العلمية، أولها معهد الرياض عام ١٣٧١ هـ<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الإلمامة بعرض من تطرقوا لطريقة الشيخ محمد في التعليم، وحرصه على طلابه تعليماً، ووقته تنظيمًا، فإننا

---

(١) انظر (مجلة البحوث الإسلامية) العدد ١٨ ص ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) صحيفة اليوم الصادرة يوم الجمعة ١٤١٨/١/٢٤ هـ وفيها تفاصيل أكثر .

نلاحظ أن مشاغله الكثيرة لم تصرفه عن الاهتمام بالعلم، وتشجيع الطلاب عليه، فقد حرص على توسيع القاعدة العلمية، والاهتمام بتوجيه ورعاية طلاب العلم، حيث تبنى فتح المعاهد العلمية في مدن المملكة، وكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض، ووافق الملك على اقتراحه، ولكي يستقطب أكبر عدد ممكن من الطلاب عرض على الملك عبدالعزيز - رحمهما الله جميعاً - وضع مكافآت مجزية للطلاب، وحظي هذا العرض بالتأييد، فكان الشيخ محمد يحضر الدروس ليستمع إلى الطلاب في فصولهم، ويناقشهم ليعرف مستواهم العلمي، ويلتقي بالمدرسين ليشجعهم ويطمئن على سلامة تدريسهم وعلى قدراتهم العلمية .

كما كان يخصص يوماً يلقي فيه كلمة توجيهية في المدرسين والطلاب، ويجيب على أسئلتهم، ويحضر النادي الثقافي في مساء الخميس من كل أسبوع بالمعهد العلمي بالرياض، ويستمع لما يلقي فيه، ويعلق وينبه على كل ما يراه ضرورياً .

كما تولى سماحته الإشراف على مدارس دور الأيتام في المملكة وفي عام ١٣٨٠ هـ صدر أمر بالموافقة على تعليم البنات في المملكة . وأن يكون بإشراف ورعاية الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث سار التعليم في دور الأيتام، وفي مدارس البنات بالمملكة، على توجيهاته، ورقابته الدينية .

وعلاوة على ذلك، لم يغفل الشيخ محمد الصحافة



والتأليف، وما يصدر فيه من جديد، فكان متابعاً لذلك باهتمام بالغ وبدقة؛ ليوجه من شطح قلمه، ويعلم من انحرف فكره، وينبه من غفل قلبه، في أدب جم، ودأب وصبر، ومثابرة على التعليم وحسن التوجيه، فكان الشيخ محمد - رحمه الله - هو المؤسس في عام ١٣٨٥هـ لمؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، والتي صدر عنها مجلة الدعوة .

فالمتابع لأسلوب ومنهج الشيخ في التعليم ومتابعة طلابه، وفي حكمته وسعة صدره في معالجته للأمور، يدرك أنه قلعة منيعة، بعلمه الواسع، ونظرته البعيدة، وصبره على عظام الأمور، وحلمه في المواقف العصبية، وصلابته في الحق، وحرصه على سدّ الذرائع، ودرء المفاسد .

ولذا يروى عنه رحمه الله، أنه لما ناقشه بعض المتحمسين في بعض المسائل التي له نظرة خاصة فيها، بعيدة المرمى، قال للمناقش : ستعلمون عن مكانة محمد بن إبراهيم، وحسن تصرفه في معالجته الأمور، بعدما تفتقدونه . وما ذلك إلا أنه رحمه الله كان يعلم ويوجه، ويعالج كل معضلة بما يناسبها، فمن عليه ملاحظة يعالجها بطريقة خاصة بينه وبين من لوحظ عليه، حيث ينفرد به، وينصحه بأفق واسع، وصمت وهدوء، ثم يلي ذلك المتابعة وتحسس صدق إنابته، كل ذلك يراعي فيه تغليب المصلحة، وعدم جرح الشعور؛ لأنه يرى أن لكل جواد كبوة .

وكان يراعي في معالجته الأمور القاعدة الأصولية التي

تنادي بأنّ دفع المفسد مقدم على جلب المنافع . . وإيثار المصالح .

### أبرز تلاميذه :

لم تستقطب الرياض طلاباً بقدر ما استقطبت على يد الشيخ محمد بن إبراهيم، حيث سطع نجمه في وقت مبكر، وعلا ذكره العلمي، فلفت الأنظار، واتجهت إليه المجاميع من أنحاء الجزيرة العربية، بل ومن خارجها منذ جلس للتدريس، فالتفت حوله طلاب العلم، بحرص ورغبة، لكي ينهلوا من معين علمه الثرّ، للأسباب التالية :

- ما جعله الله من قبول في القلوب، وسمعة حسنة لدى القاصي والداني، وما جُبلت عليه طباعه من خصال عديدة وحميدة، ترغب في القرب منه، وتحبب في الأخذ عنه، وتزيل الهيبة، وتباعد عن الجفوة .

- ما جُبلت عليه نفسه من حب في نشر العلم، وهمة عالية في توصيل ما أفاء الله به عليه للآخرين، حيث يرى أن أمانة العلم في تبليغه، وعدم كتمانها .

- حرصه على التطبيق العملي في نفسه؛ أولاً : خوفاً من التأثم بكتمان العلم، وثانياً : اهتمامه بإرواء نهم المتعطشين للنيل من موارد العلم العذبة، وثالثاً : رجاء أن يترك أثراً علمياً يتتفع به ليكون له في العمل المستمر الصالح .

- إخلاصه وبذله من جهده ووقته فوق ما يتحمّله غيره، حرصاً

منه على أداء الأمانة، وشعوراً بحاجة العباد والبلاد إلى العلم،  
الذي به السعادة والخير في الدنيا والآخرة .

- تواضعه مع طلابه، فهو للصغير أب يحضه النصيح والتوجيه،  
وللمتوسط أخ يتداول معه الرأي ويأخذ معه ويعطي، وللكبير  
ند يتشاور معه، ويتداول الأمور؛ ليستفيد كل منهما علمياً  
ومباحثة من صاحبه .

ولصدقه وحصافة رأيه، فقد تجاوب معه الملك عبدالعزيز -  
رحمهما الله - ويسر للطلاب السبل المعينة على التفرغ للدراسة  
بحلقة الشيخ محمد خاصة، والمشايخ الآخرين عامة وذلك :

- بتوفير مساكن وأربطة لطلبة العلم، أكبرها وأهمها رباط دخنة  
المجاور لمسجد الشيخ عبدالله، الذي إمامه الشيخ محمد بعد  
وفاة عمه منذ عام ١٣٣٩ هـ، ويقع جزء من هذا الرباط  
والمكتبة السعودية في مبنى مجمّع المحاكم بالرياض في  
دخنة .

- بعدما ازداد عدد الطلاب، وضاق بهم رباط دخنة وما حوله،  
أوجدت مساكن أخرى متعددة لإسكان الطلبة واستيعاب  
عددهم المتكاثر سنة بعد أخرى، عرفت باسم بيوت الإخوان .

- الحرص على إتاحة الفرصة في العمل للناهين القادرين من  
كبار الطلبة : في القضاء والوعظ والدعوة والإمامة  
والتدريس .. كل في الموقع المناسب له .

- تنظيم ترحيل هؤلاء الطلبة إلى ديارهم وقت الإجازة،

ولأعمالهم لمن يكلف بعمل على حساب الدولة .

- وضع مخصصات للطلاب تصرف لهم من المالية : أرزاقاً وكسوة في بادئ الأمر، ثم تحولت إلى مبالغ نقدية بعدما استقرت ميزانية الدولة، وثبت دخلها . . لكي تعينهم على التفرغ للعلم، وتكفيهم مؤونة البحث عن لقمة العيش .

وقد تحقق بذلك نتائج جيدة، فكان مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنة جامعة علمية كبيرة، تخرج منه على يدي الشيخ محمد - رحمه الله - أفواج كثيرة من العلماء، شغلوا مناصب مهمة في الدولة، ولا يزالون . . لعل من أبرزهم، حيث لن نستقصي تعدادهم ولا أعمالهم لكثرتهم، ولكن نشير لمن أوردنا إلى آخر عمل قام به :

١ - الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد - رحمه الله - وآخر عمل تولاه : رئيس المجلس الأعلى للقضاء .

٢ - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - أمد الله في عمره - مفتي عام المملكة العربية السعودية .

٣ - الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي - رحمه الله - آخر عمل تولاه : الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .

٤ - الشيخ عبدالله بن يوسف بن وابل - ختم الله له بالجنة - قاضي أبها ونزيلها حالياً الذي أصيب بمرض لازمه طويلاً .

٥ - الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد - رحمه الله - أول رئيس

لمدارس البنات وآخر عمل قام به : رئيس محكمة التمييز بالرياض .

٦ - الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ - شقيق الشيخ محمد رحمهما الله - آخر عمل قام به : الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية ومقره مكة .

٧ - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - آخر عمل قام به : وزير المعارف ثم رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٨ - الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - رحمه الله - أحد علماء الرياض ووجهائها .

٩ - الشيخ صالح بن محمد اللحيدان . . رئيس المجلس الأعلى للقضاء حالياً .

١٠ - الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي - رحمه الله - آخر عمل قام به : القاضي بمحكمة التمييز بالرياض .

١١ - الشيخ صالح بن علي بن غصون آخر عمل قام به : عضو هيئة كبار العلماء، والقاضي بمجلس القضاء الأعلى قبل تقاعده .

١٢ - الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش - رحمه الله - رئيس محكمة مكة .

١٣ - ابنه الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ المستشار بالديوان الملكي حالياً .

- ١٤ - ابنه الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ - آخر عمل قام به قبل تقاعده : وزير العدل .
- ١٥ - الشيخ راشد بن صالح بن خنين - المستشار بالديوان الملكي حالياً .
- ١٦ - الشيخ سعود بن رشود رئيس محكمة الرياض الكبرى سابقاً - رحمه الله - .
- ١٧ - الشيخ زيد بن عبدالعزيز بن فياض الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قبل وفاته - رحمه الله - .
- ١٨ - الشيخ محمد بن عبدالله بن الأمير عضو المجلس الأعلى للقضاء حالياً .
- ١٩ - الشيخ علي الرومي القاضي بمحكمة التمييز بالرياض حالياً .
- ٢٠ - الشيخ غيهب بن محمد بن غيهب القاضي بمحكمة التمييز بالرياض حالياً .
- ٢١ - الشيخ محمد بن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم الذي جمع فتاوى سماحته<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع عن تلاميذه ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٢ - ١٧٧ وقد أورد منهم ٦٦ اسماً ، وانظر كتاب ( روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ) لمحمد العثمان القاضي ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠ وقد أورد منهم ٤١ اسماً .

وقد أورد فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع ٣٣ عالمًا، كلهم أخذوا عن سماحته، ومن أبرزهم ممن لم يرد لهم ذكر عند غيره :

- ١ - الشيخ حمد الجاسر . . علامة الجزيرة وباحثها .
- ٢ - الشيخ محمد بن هليل - رحمه الله - القاضي بالدوامي .
- ٣ - الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وأول أمين للمكتبة السعودية بالرياض - رحمه الله .
- ٤ - الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي داعية الجنوب - رحمه الله - والذي نفع الله به في جنوب المملكة واليمن .
- ٥ - شقيقه وعضده في التعليم بعدما فتحت المعاهد : الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله .
- ٦ - الشيخ الدكتور : حمد بن محمد بن فريان، وكيل وزارة العدل السابق، وعضو مجلس الشورى .
- ٧ - الأمير مساعد بن عبدالرحمن - رحمه الله - وزير المالية سابقاً وصاحب أكبر وأقدم مكتبة خاصة بالرياض .
- ٨ - الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، عضو المجلس الأعلى للقضاء سابقاً .
- ٩ - الشيخ محمد بن عبدالله بن عودة، آخر عمل قام به : الرئيس العام لتعليم البنات .
- ١٠ - الشيخ الدكتور عمر بن عبدالعزيز المترك - رحمه الله -

المستشار بالديوان الملكي سابقاً .

١١ - الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن غديان عضو الإفتاء،  
وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة .

١٢ - الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع عضو هيئة التمييز بمكة،  
وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة .

وقد أورد شهادة من سماحته له تاريخها ١/٦/١٣٨٤هـ  
تتضمن التزكية العلمية<sup>(١)</sup> .

وخلاصته أن غالب علماء المملكة هم من تلاميذه، ذلك أن  
الشيخ مورد عذب، ترده الجموع من طالبي العلم، فينهلون من  
معينه، فيصدرون بعد ارتواء .

ولما تكاثر عددهم، ورأى حاجة البلاد بعد استقرارها،  
وتشعب الأعمال فيها، فقد اقترح الشيخ محمد - رحمه الله - على  
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فتح المعاهد والكليات في عام  
١٣٧٠هـ، حيث تحول طلابه إلى الدراسة بها، كل بحسب  
مستواه العلمي، وكان له الإشراف التعليمي والمتابعة، وأسند  
الإدارة لأخيه الشيخ عبداللطيف، الذي كان له عضداً، يعمل بما  
يوجهه، ويتابع العمل مباشرة عنه .

وقد تحولت المعاهد والكليات فيما بعد إلى جامعة أخذت  
اسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فنفع الله بها وبمن

(١) انظر (مجلة البحوث الإسلامية) العدد ١٨ ص ٢١٦ - ٢١٩ .



تخرج منها في داخل المملكة وخارجها .

### مؤلفاته :

مع ما حبا الله الشيخ محمداً من علم وافر، وقدرة على الاستيعاب، وفهم لأقوال العلماء، واستظهار المسائل، كما يبرز هذا في فتاواه، وفي منهجه في التدريس .

ومع المدة الطويلة التي قضاها في التحصيل والاستيعاب متفرغاً للعلم، ثم بما تبوأ من صدارة بعد وفاة عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في عام ١٣٣٩ هـ إلى أن توفاه الله في عام ١٣٨٩ هـ، وهي نصف قرن من الزمان .

مع هذا كله، إلا أن مؤلفات الشيخ محمد - رحمه الله - تعتبر قليلة، بالنسبة لهذه الأمور والمهمات التي تولى، وللمدة الزمنية التي استغرق .

وما ذلك إلا أن الشيخ محمداً، كان في الدور التأسيسي للمملكة من ناحية التعليم والقضاء، وتنظيم أمورهما في مملكة واسعة الأرجاء، حديثة البناء، قليلة العدد من العلماء والمتعلمين، فكان من همة الشيخ محمد، وحصافة رأيه، الاهتمام بانتقاء الرجال، والجلوس لهم تعليمًا وتوجيهًا، وتهيئتهم لتحمل المسؤولية العلمية : في القضاء، والدعوة، والتعليم .

ولكي يتحقق ما كان يصبو إليه، فإنه قد أعطى من نفسه ووقته نموذج العمل، ونظَّم الجلسات للطلاب الذين توافدوا عليه من أنحاء المملكة وخارجها، يأخذوا عنه، بعد أن أعانهم على

ذلك بما حرص عليه من تهئية ما يعينهم على التفرغ للعلم، وبذل الأسباب المعينة على التحصيل .

وكان الشيخ محمد - رحمه الله - قد رغبهم في ذلك : بالبشاشة وحسن الاستقبال، وبالليونة وبسط الوجه، كما هياً لهم كل وقته، تعليماً على جميع المستويات، وفي أنواع المعارف الشرعية والعربية؛ لأنه - رحمه الله - كان موسوعة علوم، وحافظاً متمكناً للمتون، وكان يردد على طلابه القول المأثور : حفظ المتون يشد المتون .

كما كان قدوة لتلاميذه الذين أصبحوا علماء في جهات المملكة، بما رسم لهم من برنامج يومي، وأسلوب جيد في المحادثة، وحسن الاستماع، مع حسن خلق وتنظيم للوقت بين عمل الدين والدنيا .

فكان طلابه يأخذون منه ما طبقوه عملاً بعدما تحملوا المسؤولية في أعمالهم المناطة بهم : في التدريس والدعوة، وفي التنظيم بين العامة والطلاب، وفي الورع عند إصدار الأحكام، وفي التأدب معه واستشارته ورفع الأمر إليه في مجال الغيرة على الدين، والعقيدة، وإنكار المنكرات، وفي وقار القاضي، وهيبة مجلس القضاء، وفي التعفف عما في أيدي الناس، والبعد عن المجالس التي تنزل قدر طالب العلم، وفي الحرص على انتهاز طريق السلف الصالح في مكانة العلماء وعبادتهم .

وكل هذه الأمور تغني عن مؤلفات في مجالها؛ لأنه زرعها

في رجال آت أكلها على الوجه المرضي . . ومع هذا فكان يتابع ويوجه، ويراقب جميع طلابه في أعمالهم، ويمحضهم نصحه، ويعاقب من يراه أهلاً للعقاب بأسلوب رقيق مهذب .

يقول معالي الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن إبراهيم : إن الشيخ محمداً لما عزم على تعيين الشيخ عبدالعزيز بن باز في الجامعة الإسلامية بالمدينة، استدعاه وعرض عليه هذا الأمر فأجابه الشيخ عبدالعزيز قائلاً : أنا لا أرغب في ذلك . فقال الشيخ محمد رحمه الله، لا يخفاك أهمية هذه الجامعة وأملنا كبير في أن تنتشر منها الدعوة الإسلامية في العالم، إن شاء الله . فقال الشيخ ابن باز : إذا كنت تؤكد عليّ في ذلك فليس لديّ إلا السمع والطاعة . فقال له الشيخ : أرى أنه لا يصلح لهذه الجامعة إلا أنت، فتوكل على الله . فقال الشيخ عبدالعزيز : سمعاً وطاعة وأخذ عصاه، وقام ممتثلاً لما ألزمه به الشيخ محمد . وكان في تعيينه في هذه الجامعة الخير الكثير<sup>(١)</sup> .

فكان الشيخ إماماً في عمله، يتحمل أعباء كثيرة لصالح الأمة، وتعليم أبنائها، مما شغله عن الإكثار من التأليف، لكنه لم ينشغل عن التعليم والإشراف عليه، وإفادة الناس بالإفتاء والتوجيه والإرشاد، كما سيبين ذلك من أعماله .

ولعل أهم مؤلفات الشيخ رحمه الله، تلك الفتاوى التي جمعت بعد وفاته، وخرجت في ١٣ مجلداً والتي تنبىء عن غزارة

---

(١) المصدر : الشيخ صالح بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد خطيباً .

علمه، وسعة مداركه، ونظرته لأمر جدت في حياة الناس، هي نظرة العالم المتبصر، الذي يجمع بين العلم بنصه الشرعي، وبين العقل والحكمة في معالجة الأمور : قياساً، واجتهاداً واستصحاباً للحال . . وقد رتب على البداية بالعقائد، ثم أصول الفقه، ثم وزعت على أبواب الفقه المختلفة .

وقد برز فيها علمه الغزير، ونظرته الواسعة للأمر، مما يشبع معه نهم المسترشد . وسوف نورد في هذه العجالة من ترجمته نماذج لفتاواه، يدرك منها القارئ سعة علمه، مع أن كثيراً من فتاواه كانت تلقى مشافهة، أو تكتب برسائل تحمل إجابات شخصية، لم يتوفر منها شيء، ولم تضم لهذه الحصيلة العلمية التي بقيت بعده رحمه الله .

وقد ذكر عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ مؤلفات الشيخ محمد إجمالاً، فقال : ألف مؤلفات وكتباً عديدة، ورسائل كثيرة، وله فتاوى تبلغ مجلدات، جمعها ورتبها الشيخ محمد بن قاسم، وله فتاوى غير ما جمعه ابن قاسم، تبلغ عدة مجلدات لا تزال محفوظة في ملفات دار الإفتاء وفتاوى كثيرة، وله مجموعة أحاديث في الأحكام، رتبها على أبواب الفقه، لا تزال محفوظة في ملفاتها<sup>(١)</sup> .

وجاء في الهامش : من مؤلفاته : الجواب المستقيم طبع بمطبعة الثقافة بمكة، ورسالة تحكيم القوانين طبع غرة رجب عام

(١) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٧ .

الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفتيها ————— د. محمد بن سعد الشويعر

١٣٨٠هـ بمطابع دار الثقافة بمكة، وردّ على كتاب نقض المباني<sup>(١)</sup>.

ويقول محمد العثمان القاضي : وله مقالات في الصحف، وتنشر في الإذاعة مفيدة، وقد أُملى رسائل عديدة، وفتاوى تبلغ مجلدات ضخمة<sup>(٢)</sup>.

أما الأستاذ عبدالله الرويشد في كتابه قادة الفكر، فقد ذكر عن مؤلفات الشيخ محمد بن إبراهيم كلمة مجملة، وبعضاً من الكتب، فقال : وله تآليف كثيرة منها :

- ١ - مجموع في علم الحديث .
- ٢ - مجموع خطب منبرية .
- ٣ - مجموعة فتاوى تكوّن أربعة مجلدات<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - نبذة رسائل ونصائح موجهة للأمة الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

ومحمد بن قاسم الذي جمع ورتب مجموع فتاواه، اعتذر للشيخ عن قلة التآليف بكثرة الأعمال المناطة به، وأنه كثير التأمل، شديد المحاسبة لنفسه، ومسئوليته تحتم عليه أن لا يكتب إلا بعد تحرّ طويل؛ لأن كلمة منه تعدّ حجة يتعلق بها العامة

---

(١) انظر هامش المصدر السابق ص ١٧٧ .

(٢) انظر كتابه ( روضة الناظرين ) ٢ : ٣١٨ .

(٣) لعله قال هذا قبل خروج فتاوى سماحته التي أشرنا إلى أنها بلغت ١٣ مجلداً .

(٤) انظر كتابه ( قادة الفكر ) ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

والخاصة . ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة .

على أن أجلاً أثر من آثاره، هذا الأثر الكبير الذي نقدمه هذا اليوم، والمتمثل في فتاواه التي بلغت عشرة أجزاء<sup>(١)</sup>، لو لم يكن له أثر سواها لكفى به فخراً، لم يصل إليه غيره من أهل عصره، وقد كان ذلك بأمر من الملك فيصل مؤرخ في ١٠/٧/١٣٩٠هـ، وقد أسندت دار البحوث والإفتاء ذلك للشيخ محمد بن قاسم<sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي التنويه عنه من آثاره، أنه اختار ألف حديث في أبواب مختلفة<sup>(٣)</sup>.

وعمر رضا كحالة ذكر في المستدرک على معجم المؤلفين في ترجمة الشيخ محمد، عن مؤلفاته قوله : وأملی من تألیفه كتباً، منها : الجواب المستقیم، تحکیم القوانين، مجموعة أحاديث الأحكام، والفتاوى من عدة مجلدات<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات عن خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام، ولعل الزركلي أخذ هذه المعلومات عن الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه مشاهير علماء

(١) لعله كتب هذه الترجمة حتى تطبع مع الجزء الأول قبل الانتهاء من العمل، الذي خرج بعد الطبع في ١٣ مجلداً .

(٢) انظر الجزء الأول من المجموع ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) انظر ص ٥٨٢ .

(٤) تراجع ( مجلة البحوث الإسلامية ) العدد ١٨ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

نجد وغيرهم .

أما الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع، الذي التصق بالشيخ محمد في العمل فترة تزيد عن عشر سنين، فقد قال : لم يكن من الشيخ محمد رغبة في التأليف، فقد يكون سبب ذلك انشغاله بأعماله، وبالرغم من ذلك فله رسائل صغيرة، في زكاة العروض، وفي حكم الدخان والقات، ومعالجة غلاء المهور وغيرها، وقد ضمت هذه الرسائل في مجموع فتاواه .

ثم قال : لقد كان رحمه الله شديد الحرص على ألا يخرج لسماحته إلا ما تطيب به نفسه، وما أقل ما ترضاه نفسه العالية، ثم ذكر رؤيا منه للشيخ محمد، بعد وفاته بشهر، يحرضه فيها على التثبت من فتاواه التي ستجمع<sup>(١)</sup>.

والشيخ إسماعيل بن عتيق، وهو ممن عاش في بيت الشيخ صغيراً، وتربى في كنفه، قال في كتابه (تاريخ من لا ينسأه التاريخ) : أما شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، فلم يكن صاحب قلم أو ردود على أحد، فقد اتخذ منهج التدريس منهجاً عملياً في تكوين الجماعة، وإقامة الأمة في تبصيرها عملياً، فقد يكون في بعض الردود شهرة المردود عليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن سلطة الحكم في يد الشيخ، فقد يعاقب المناوئ أو المنحرف بعدالة السلطان، وحكم القرآن من غير حاجة إلى الردود والتوضيح .

---

(١) ينظر خبر ذلك في (جريدة البلاد) يوم الخميس ٢٠ رمضان ١٣٩٢ هـ .

ثم ذكر خمسة نماذج لمن خالف الشيخ فيما يفتي به، وطريقة الشيخ محمد في إثبات ما يراه وما يفتي به، دون حاجة للردود المكتوبة، وهذه الحالات باختصار هي :

١ - عندما كتب الشيخ عبدالرحمن بن سعدي اجتهاداً منه : أن يأجوج ومأجوج أهم الصين، فقد استدعاه الملك عبدالعزيز مع المشايخ برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، وانتهى الاجتماع بعدم الحاجة لمثل هذا البحث واعتذر الشيخ ابن سعدي<sup>(١)</sup>.

٢ - قام الشيخ عبدالله بن محمود رئيس محاكم قطر بتأليف نسخة من مناسك الحج، خالف فيها جمهور العلماء والمفتي به والمعمول به حول المبيت بمزدلفة، والرمي قبل الزوال في أيام التشريق، فرأى الشيخ محمد بن إبراهيم استدعاء ابن محمود عند الملك سعود، ومناقشته وذلك بحضور المشايخ، وبعد المناقشة أبدى ابن محمود استعداداً على نقض كلامه، والرجوع عنه فور عودته إلى قطر، ولما لم يف قام الشيخ محمد بالرد عليه، وشدّد في رده، وأخبر بما حصل منه من الوعد، وهو مطبوع متداول .

(١) يقول معالي الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ محمد : « ويوم أن زار الشيخ عبدالرحمن بن سعدي سماحة الشيخ محمد - رحمهما الله - قابله الشيخ محمد مقابلة تكريم واحترام وأجلسه في مجلسه الخاص وجلس الشيخ محمد عن يمينه » .



٣ - بعد توسعة الحرم المكي، كان الشيخ محمد يرى أنه لا مانع من إزاحة المقام كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان المقام ملاصقاً للكعبة فأزاحه عمر توسعةً للمطاف، فحصل ضجةً تبناها الشيخ سليمان بن حمدان، المدرس في المسجد الحرام، وكتب نسخة يرد بها على الفتوى، فصدر الأمر بإبقاء المقام مكانه مع هدم البناية فوقه، وإبقائه في بلورة من الزجاج .

٤ - وقد ألف سماحته رسالته في وجوب تحكيم الشرع، وذلك رداً على ما صدر من أنظمة حول التعامل التجاري في عام ١٣٦٩هـ، وقد كان رحمه الله يؤكد على جميع القضايا، عدم صرف النظر في أي قضية كانت، وعليهم أن يحكموا بما يرونه شرعاً، وليس له اعتراض على جهة التنفيذ .

٥ - كان الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ولا يزال، يفتي لمن طلق ثلاثاً بلفظ واحد طلقة واحدة، كما هو مذهب عمر بن الخطاب، وأفتى به ابن تيمية، وهذا مخالف لما يفتي به الشيخ محمد بن إبراهيم، غير أنه لم يلزم الشيخ ابن باز بالرأي الآخر، حيث الأمر فيه سعة، مع أن الشيخ محمداً يرحمه الله، لا يرى تعدد الفتوى في مسألة واحدة بين العلماء، كما أن الشيخ عبدالعزيز بن باز طبق عملياً صلاة التراويح إحدى عشرة ركعة في جامع الرياض، وهذا كان مخالفاً لما عليه مساجد الرياض عموماً .

وكان الشيخ لا يرى غير ما عليه الجمهور والمعمول به، وهو عشرون ركعة والوتر، ثم أورد حادثة حصلت للشيخ إبراهيم ابن عبدالله بن عتيق، الذي كان قاضياً في الشمال، فصلى التراويح إحدى عشرة ركعة فجاءه برقية من الشيخ محمد، بأن يصلي كما يصلي الناس، فعاد وصلى عشرين ركعة، كما أمر سماحته .

وبعد أن ساق هذه الأمثلة قال : ونذكر أن الحاجة للتأليف في الرد على المخالف ليس بضروري ولا حاجة له، وما دامت السلطة هي الموجهة في حل النزاع والخصام، كما قال عثمان رضي الله عنه : « إن الله لينزع بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن »<sup>(١)</sup>.

والعارفون بالشيخ محمد رحمه الله عن قرب، يرون أن له في هذا نظرة بعيدة، تتمثل في خوفه على الأمة من تعدد الفتوى، فيكون من ذلك نتائج بانت آثارها في عصور مختلفة، وفي جهات من ديار الإسلام، ومن ذلك الفرقة، والتطاول على الفتيا ممن لا يحسنها، والأخذ بالرخص، واتساع شقة الخلاف والشحناء بين طلبة العلم .

### أعماله :

مرّ بنا أن عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، لما مرض لفت نظر الملك عبدالعزيز إلى كفاءة ابن أخيه العلمية، مع

(١) انظر كتابه ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٥٣ - ٥٦ حيث اختصرنا منه ما يفي بالمطلوب .

الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفقهها ————— د. محمد بن سعد الشوير

رجاحة عقله وحكمته، وعندما توفي عام ١٣٣٩هـ أسند الملك عبدالعزيز أعماله إلى الشيخ محمد بن إبراهيم : من إمامة مسجده في حي دخنة، والخطابة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير، جامع الإمام تركي بن عبدالله، والتدريس في مكانه، الذي استمر فيه إلى قبيل وفاته، حيث تفرغ للأعمال الكبيرة المناطة به .

وفي عام ١٣٧٤هـ أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية، ورئاسة المعاهد، فأسندت رئاسة هذه الأمور إليه، ويرى الشيخ إسماعيل بن عتيق أن الافتتاح عام ١٣٧٣هـ حيث كان يدعى الشيخ محمد بالمفتي، وقد كتب على أوراق مراسلته المفتي الأكبر، فنهى رحمه الله عن ذلك، ورفض تلقيبه بهذا اللقب، حيث كان ملفتاً للنظر، وأمر بإلغاء اللقب والإبقاء على كلمة المفتي<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٣٧٦هـ توفي الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - رئيس القضاة بالحجاز، والمنطقة الغربية، فضمت إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - فكان رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية<sup>(٢)</sup>.

ولحبه للعلم، واهتمامه بالعلماء، حيث أدرك بحصافة رأيه، وبُعد نظره حاجة البلاد والعباد إلى العلم، فقد قدّم اقتراحاً للملك عبدالعزيز - رحمهما الله - يتضمن فكرة إنشاء معهد علمي

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٢) انظر ( روضة الناظرين ) للشيخ محمد القاضي ٢ : ٣١٩ .

بالرياض يجمع طلبة العلم، وتنظم به دراستهم، فوافق عليه الملك، وتم الافتتاح عام ١٣٧٠هـ لمعهد الرياض العلمي الذي كان بداية للمعاهد العلمية التي شملت مدن المملكة فيما بعد، فكان هو الرئيس والمشرف على الدراسة والمناهج التعليمية، واختيار المدرسين، وكان يتخول المعاهد بزياراته، ويتناقش مع الطلبة في فصولهم ليتعرف على مستواهم، كما كان يحضر النادي بالمعهد ليلة الجمعة، ويعلق على ما يدور فيه، وكان حريصاً على معرفة مستوى المدرسين مع طلابهم<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت كلية الشريعة بالرياض، وفي عام ١٣٧٤هـ أنشئت كلية اللغة العربية بالرياض، كما تحصل الشيخ محمد في عام ١٣٧٤هـ على أمر ملكي يخوله افتتاح فروع لمعهد الرياض، فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد في كل من بريدة، وشقراء، والأحساء، والمجمعة، ومكة، وسامطة<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٣٧٣هـ تم إنشاء دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية: المساجد ودور الأيتام والإفتاء، وغير ذلك.

وقد تعين في عام ١٣٧٦هـ ابنه معالي الشيخ إبراهيم بعد تخرجه من كلية الشريعة بنفس العام نائباً له في إدارة الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٣٧ .

(٢) راجع ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٩ .

(٣) انظر ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٣٦ .

وكان هو المرجع للقضاة : تعييناً وعزلاً، وتأديباً وتمييزاً أحكام منذ عام ١٣٧٦هـ، حيث تم إيجاد رئاسة القضاة في المملكة، فكان هو الرئيس في المنطقة الوسطى والشرقية، حتى عام ١٣٧٨هـ، حيث أُسندت إليه مهمة رئاسة القضاة في المملكة، بعد وفاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، الذي كان يشرف على قضاة الحجاز، والمنطقة الغربية، فأخذ الشيخ منذ ذلك التاريخ لقب : المفتي ورئيس القضاة في المملكة العربية السعودية .

ولرغبته رحمه الله في التخفف من الأعمال الإدارية، فقد أسند رئاسة القضاة إلى نجله الأكبر الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم<sup>(١)</sup> .

وقد اقتنع سماحته في عام ١٣٧٩هـ بأهمية تعليم المرأة، فقدم مشروعاً وافق عليه الملك سعود - رحمهما الله - بافتتاح مدارس البنات في مدن المملكة في عام ١٣٨٠هـ، وصدر بذلك مرسوم ملكي، أسند فيه الإشراف لسماحته، فاختار فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد؛ ليكون رئيساً مباشراً لتعليم البنات، ومرجعه هو الشيخ محمد - رحمهما الله -<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧ .

(٢) يراجع كتاب ابن عتيق ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٣٨، لكنه أخطأ في تاريخ الافتتاح فجعله عام ١٣٧٩هـ، وفي الرئيس فجعله ناصر بن راشد، وهذا لم يأت إلا بعد ابن رشيد .

وفي عام ١٣٨١- صدر أمر بافتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ محمد بن إبراهيم هو رئيسها، وقد اختار نائباً له هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز . وهذه الجامعة كانت الفكرة من إنشائها تعليم أبناء المسلمين في أنحاء العالم، ولم يخصص للسعوديين إلا نسبة قليلة، فأتى بحمد الله ثمارها الياقة، بحماسة وصدق، لإخلاص النية من الافتتاح ولحرص الشيخ محمد ونائبه الشيخ عبدالعزيز بن باز .

وكان الشيخ محمد رائداً للتعليم في المملكة منذ إنشائها، فمسجده جامعة تستقطب أعداداً كبيرة من أنحاء المملكة وخارجها، والمعاهد والكليات، التي هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الآن، كان يرأسها ويشرف عليها، دراسة ومناهج، علاوة على رئاسته للإفتاء والقضاة بالمملكة، والجامعة الإسلامية بالمدينة، ودور الأيتام، مع الإشراف الديني والدعوي بالمملكة، وعلى تعليم البنات، ثم المعهد العالي للقضاء بعد افتتاحه، والإشراف على المكتبة السعودية بحي دخنة، بجوار مسجد الشيخ عبدالله، التي هي أول مكتبة عامة بالرياض .

ثم لما أنشئت رابطة العالم الإسلامي، كان الشيخ محمد هو أول رئيس للمجلس التأسيسي الأعلى للرابطة، كما كان مشرفاً على ترشيح الأئمة والمؤذنين، والوعاظ والمرشدين بالمملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>.

(١) يراجع ملخص أعمال سماحته ص ١٨٣ بكتاب ( مشاهير علماء نجد =

الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفتيها ————— د. محمد بن سعد الشويعر

فكان رحمه الله يدير هذه الأعمال الكبيرة بحصافة رأي،  
وحسن تدبير، وحكمة، ولا يتقاضى مرتباً إلا من عمله في رئاسة  
القضاة فقط، وهذا من زهده وورعه، ويصدق فيه قول الشاعر :

سيفقدني قومي إذا جدّ جدھمُ  
وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

### تقديره للعلماء :

إنما يوقر العلماء من عرف قدر العلم، وتشبّع من سير  
العلماء وتقدير بعضهم لبعض، ولمحبة الشيخ محمد للعلم،  
وتشجيعه عليه، فإن للعلماء عنده - رحمه الله - مكانة رفيعة، فهو  
يعتبر الصغير منهم ابناً يوجهه ويمحضه نصحه، والمتوسط أخاً،  
يتبادل معه الرأي والمشورة، والكبير أباً يوقره ويجلّه، ويعرف له  
منزلته العلمية .

يقول الشيخ عبدالله بن منيع عنه : يعتبر - رحمه الله - أبا  
حنوناً لطلبة العلم عامة، وللقضاة خاصة، فهو رحمه الله لا يفتر  
من المطالبة بما يصلح أحوالهم، ويسد حاجاتهم، ويرفع  
شأنهم : اجتماعياً ومادياً كما ارتفع شأنهم علمياً .. كما أنه  
رحمه الله، يقف معهم ضد كل من يتناولهم بتجريح أو تهوين،  
يتحدث دائماً أمام العموم والخصوص بمكانة القاضي، وأنه العين  
البصيرة، واليد الطويلة، في دائرة اختصاصه القضائي، ويكثر

---

= ( وغيرهم )، و ص ٤٨ - ٤٩ بكتاب ( تاريخ من لا ينسأ التاريخ ) .

اللوم والتقريع على من يتناول أحدهم بسوء، ولا يعني هذا أنه يرحمه الله، يرى القضاة جنساً معصوماً من الخطأ، ولكنه لا يظهرهم أمام العموم إلا بمظهر الهيبة والتقدير والاحترام، ويكون له مع القضاة مجالس خاصة، حضرت بعضها، يتناقش مع القاضي في أسباب الشكاية منه، ويوجهه التوجيه الأبوي، ويبصره بمهمة القاضي في البلاد، من حيث الحرص على إنهاء الخصومات، وإيصال الحقوق لأصحابها، والترفع عن المصالح الشخصية من الأهالي، والقضاء على أسباب الشغب والفتن في البلاد، فكان رحمه الله نعم الأب، ونعم المربي، ونعم الموجه، ونعم الرئيس، وكان لتوجيهاته في نفوس أبنائه القضاة الموقع الحسن، من حيث السمع والطاعة والقبول، لقد سمعت أحدهم يقول لسماحته بعد إبلاغه قرار نقله إلى مكان أبدي عدم رغبته في قبوله، فأصرَّ الشيخ على ضرورة قبوله ذلك المكان، قال : والله يا شيخ لو عزمت علي بالقضاء في مكان وعينته، وهو من أكثر الأمكنة مشقة، لما وسعني غير الاستجابة لأمرك، وهذا القاضي مثال لكل القضاة، إلا من ندر<sup>(١)</sup>.

والشيخ محمد - رحمه الله - لصفاء سريرته، وحرصه على الخير، وبعده عن الأهواء أو الإضرار بأحد، قد جعل الله له قبولاً لدى العلماء خاصة، وأفراد المجتمع بصفة عامة، فالعلماء يجلسونه، وهو يعرف لكل منهم قدره، وقد أورد الشيخ

(١) انظر (مجلة البحوث الإسلامية) العدد ١٨ ص ٢٣٥ .



إسماعيل بن عتيق شيئاً من تعامله مع بعض أصفياه وأحبابه، وأسلوب تعامله معهم؛ لأنه ممن يُنزل الناس منازلهم، ويعطي كل واحد المكانة التي يستحقها؛ لأن له فِرَاسة في الرجال، وبصراً جيداً يمحّص به مكانتهم العلمية، وذكاء يستشف به ما سيكون لبعضهم من منزلة تظهر بآع في العلم، وتفقهه في الدعوة، أو يدرك من ذلك نظرته في الأمور، وحسن تصرفه وأمانته، وقد أورد عشرين شخصاً، أغلبهم من العاملين معه، كنموذج يبرز تقديره للعلم، واهتمامه بالعلماء، ومن العلماء :

١ - الشيخ العلامة : عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، فقد كان الشيخ محمد ينهض من مجلسه، إذا دخل عليه الشيخ العنقري، ويخطو إليه خطوات مستقبلاً إياه، ثم يجلسه في مجلسه الخاص به، وهذه خاصية للشيخ العنقري لدى الشيخ محمد - يرحمهما الله -، ثم يجلس الشيخ محمد عن يساره جلسة التلميذ المتأدب مع أستاذه، ولا يتحدث بل يستمع إلى ما يقول الشيخ العنقري، وسرّ احترامه له، هو أن الشيخ العنقري من العلماء المبرزين، وله يد في الإصلاح، كما أن كبر سنه جعله محل احترام وتقدير لدى سماحة الشيخ محمد، ومع أنهما زميلان مبرزان لدى الشيخ سعد بن عتيق، إلا أنه يكثر الحفاوة والتقدير به .

٢ - الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، فقد كان دائم الثناء عليه، ويذكر إخلاصه وزهده وتأثيره على البلدان التي ينصب فيها، ويذكر من آثاره : زهده وتأثيره في الجوف،

وكان الشيخ فيصل رحمه الله، مع فضله وعلمه أحد المجاهدين الذين اشتركوا في الغزوات مع الملك عبدالعزيز أيام توحيد الجزيرة .

٣ - الشيخ أحمد محمد شاكر، المحدث المصري، كان يجلس عند الشيخ محمد في زيارته للمملكة، وكان الشيخ يجله ويحترمه، وربما جرى البحث معه في علوم الحديث، فيستمع إليه استماع المستفيد والمسترشد، مما عند الشيخ شاكر، وكان يتردد على الشيخ محمد ويجلسه في مجلس الاحترام والتقدير .

٤ - الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي، المحدث الذي كان مدرساً بالمعهد العلمي بالرياض، ثم في كلية الشريعة، وقبل ذلك كان في دار الحديث بالمدينة، كان الشيخ يظهر له المحبة والإكرام، ويصغي إليه كثيراً، وربما جرى البحث معه في مسائل علم الحديث والرجال، ويضحك لأحاديثه، وقلّ أن يضحك رحمه الله، وقد أوصى عند وفاته على أبنائه الشيخ محمد بن إبراهيم .

٥ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، كان له مكانة عند الشيخ محمد، ويصغي إليه عندما يتكلم وربما جرى البحث معه في دقائق الأمور العربية : لغة وشعراً، وفي علم المنطق والفلسفة، وربما استشاره في بعض الأشياء، وما يرد من الخارج، خاصة في المسائل العلمية والفتاوى . والشيخ

الشنقيطي أحد العلماء الأفاضل في علم التفسير واللغة والفقه والحديث . . وله تفسير أضواء البيان .

٦ - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، كان من أخص تلاميذه، وبعد أن قدم من الدلم عندما كان قاضياً بها أكرمه الشيخ محمد بمأدبة كبيرة حضرها كثير من المشايخ والعلماء، وكان الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم كثير الثناء عليه في مجلس الشيخ محمد، وفي قرارة قلب الشيخ محمد كان يجله ويحترمه، ويرى له باعاً في العلم والتفقه والدعوة، وقد جعله نائباً له في إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة وتنظيمها عند افتتاحها .

٧ - الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، يعتبر من أخص تلاميذ الشيخ محمد، وأنبههم، وقد عينه في قضاء الرياض في سن مبكرة، ثم المصلحة، وللشيخ عبدالله مواقف صلبة وقوية وشجاعة، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ الأحكام الشرعية، ولما طال عمله في بريدة تقدم للشيخ محمد بطلب الإعفاء من القضاء، وبقي في التدريس إلى أن رشحه الشيخ رئيساً للإشراف على حرمي مكة والمدينة .

٨ - الشيخ عبدالرزاق عفيفي، فقد كان الشيخ محمد يحترمه ويستشيريه فيما يتعلق باختيار الطلبة المتخرجين في كلية الشريعة للقضاء، وأحياناً يرفض الشيخ محمد رأيه، وقد حدث أن رشح أحد الخريجين من منطقة جيزان يدعى

جبران، فأراد الشيخ عبدالرزاق الاعتذار له من القضاء، فقال الشيخ: إنه صغير، فأجابه بأنه سيكبر، فقال: إنه أمرد لا لحية له، فقال الشيخ محمد: سنرسله إلى جماعته، وكان الشيخ عبدالرزاق يقف من الشيخ محمد - رحمهما الله - موقف الهيبة والإجلال، حتى تكاد تعدّ كلماته عندما يخاطبه<sup>(١)</sup>.

هذه نماذج لتقديره العلماء واستشارتهم في كثير من الأمور، وإلا فإنه رحمه الله يمثل في مجلسه هيئة العلماء، ومكانة العلم، ومع العاملين معه مهما كانت منزلتهم تراه ودوداً ضاحكاً يمازح هذا ويلطف ذاك . . ويسأل عن أحوالهم وأولادهم . . ولذا كان جميع العاملين معه في أنحاء المملكة من قضاة وعلماء، ومدرسين ودعاة، يشعرون بأنه لهم بمثابة الأب الموجه لهم العطف عليهم، الحريص على دقة أعمالهم، وسلامة مقاصدهم، فكان يجرّئهم على استشارته في كل أمر، ويمحضهم نصحه في كل وقت وموقف، ويهتم بإبانة المداخل الحسنة لمن غابت عنه، وإيضاح الأمور التي تسيء إلى سمعة طالب العلم، حيث يشعر كل واحد جلس معه أن الشيخ قد اختصه بوقته وحده، وأنه بالنصائح والتوجيهات اعتبره أحد أبنائه من صلبه، ومع هذا لا يسمع كلام العامة في القاضي، ولا يريد الإنقاص من مكانته وعلمه، حتى لا يسقط في أعينهم، ولا يظهر أي تبرم بحضورهم حتى لا يطمعهم، أما إذا انفرد بالقاضي، فإنه يعطيه دروساً

(١) انظر (تاريخ من لا ينسأه التاريخ) ص ٢٨ - ٣٥ باختصار وتصرف .

قاسية، ليحس في قرارة نفسه أنه مخطيء وعليه تدارك الخطأ، ولذا فإن القاضي لا يعلم ما قال الشيخ لخصومه، ولا الخصوم يعرفون رأي الشيخ في القاضي . . وهكذا الحال مع جميع طلبة العلم المرتبطين بالشيخ محمد - رحمه الله - . . وهذا ينبىء عن حسن أخلاقه وكمال علمه، ونظرته للأمور، وفكره الناضج . . ومع طيبة نفسه فلا أحد سبر غوره، أو يستطيع معرفة خفايا نفسه .

### أخلاقه وصفاته :

جعل الله للإنسان أخلاقاً يتطبع بها، ويمكنها في نفسه العلم الذي وهبه الله إياه، والعقل الذي يقود إلى الخير، بتوفيق الله . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كما قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن . كما يكون للإنسان صفات جبلت عليها طباعه، أو كانت جزءاً من تكوينه الخلقي، الذي أوجده الله عليه .

والشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - قد منحه الله عقلاً وعلماً، فكان العلم بالنسبة له زينة وجمالاً، وأضفى العقل عليه سربالاً من المهابة والإجلال . . وكان هذا من توفيق الله له، بأن تحلى بالأخلاق النبيلة؛ ليكون مقصداً ومعيناً لطلاب العلم يحضهم نصحه وتوجيهه، ويرسم لهم أقوم الطرق وأسهلها حتى يعرفوا مداخل القلوب، فكان دمث الخلق، متواضعاً، محباً للخير، رقيق القلب، حريصاً على تلمس حاجات الناس، شجاعاً

في كلمة الحق، لا يخاف في هذا السبيل لومة لائم، شديداً في قمع الفتنة، قوي الذاكرة .

وقد تحدث الشيخ محمد بن قاسم في نبذة من سيرته، ضمن مقدمة الجزء الأول من مجموع فتاواه عن أخلاقه، دمج فيها تحت هذا المسمى، أخلاقه وصفاته . . شأنه شأن غيره فكان من ذلك :

### أ - من أخلاقه :

١ - الإخلاص في العمل، وعدم التبرم، أو التحدث عن العمل ومشاغله، حيث لم يكن طالب شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، بل كان يبتغي بعمله ما عند الله، والدفاع عن الحق .

٢ - ومع ما آتاه الله من مهابة في نفوس الناس، وصرامة في الحق، حيث يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يزل في كلمة، إلا أن الناس يجلّونه ويحبونه؛ لأنه أنيس عند المخالطة، ألوف لمعاشريه بعيد عن الغلظة، يحسن الفرق بين مجالس الجد والعمل، ومجالس الراحة عندما يكون في سفر أو نزهة .

٣ - العفة والتورع عن أخذ ما ليس له، أو ما يرى فيه شبهة، فلم يعرف عنه الاشتغال بالبيع والشراء لا بالاستقلال ولا بالمشاركة .

٤ - كرهه الشديد للمديح والثناء، فقد كتب لشخص : ما ذكرتم

في خطابكم من الثناء نود ألا نسمعه، فنحن نستغفر الله ونتوب إليه من تقصيرنا وضعفنا، نسأله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه . وكتب لآخر : نفيديكم أنه جاء في خطابكم بعض العبارات مثل قولكم : عالم الوجود . تلك العبارة التي لا يصدر مثلها إلا عن جاهل<sup>(١)</sup> .

٥ - راجع العقل، واسع الأفق، بعيد النظر، كثير التأني في إعطاء قراره فيما يتطلبه الأمر منه، شجاعاً في إبداء رأيه، يقلب الأمر قبل قراره على أكثر من وجه، فإذا قرر مضى في قراره دون تردد أو تراجع، سمح النفس، كثير التبسط مع تلاميذه وموظفيه المباشرين للعمل مع سماحته، حاد الذكاء، عميق الفهم، كثير التروي والتأمل فيما يعرض عليه، مهيباً هيبه لم يكن أصلها غطرسة أو تجبر، وإنما هي مستمدة من الشعور العام عن سماحته بالقوة في جانب الحق، مهما كانت الجهة التي لديها الحق .

٦ - له أسلوب متميز في فحص ما يلقي عليه من معاملات والتحرير عليها من حيث الصياغة، واللغة، أو من حيث المعنى، أو من حيث العدول عما تم التوجيه من سماحته بالتحرير عليها .

---

(١) راجع في هذه الأخلاق (مجموع فتاوى ورسائل سماحته) ١٦/١ - ١٨ . . وقد أورد الشيخ محمد بن قاسم بعضاً من الوقائع للاستشهاد مع بعض جزئيات الأخلاق .

٧ - حريص التوثق من أقوال أهل العلم، وكلما مرت عليه مسائل شرعية في العبادات أو المعاملات، فإنه يهتم باستذكار الحكم الشرعي، ويطلبه من أكثر من كتاب يتحدث عن المسألة التي عرضت، ولا تطيب نفسه إلا بعد التوثق . ويقول للشيخ عبدالله بن منيع : يا عبدالله الأعمال شغلتنا عن بضاعتنا، فلا بد من فرص نرجع فيها لكلام أهل العلم استذكراً أو استزادة في العلم والفهم، أو استبياناً لما قد يخفى علينا، وليس علينا نقص في ذلك .

٨ - طريقته في التأصيل تعطي العاملين معه ثقة وقدرة على التصرف في الأمور المهمة، حتى يتربوا على الشعور بتحمل المسؤولية في مستقبل أيامهم، كما كان يعاملهم كأبنائه، لما يكنه لهم من المحبة والتقدير والعطف والشفقة، وقد ضرب الشيخ عبدالله بن منيع مثلاً برسالة ألفها وجمع فيها أقوال أهل العلم : عن حكم ذبح هدي التمتع والقران قبل يوم النحر، حيث قام بالاعتراض عليها مجموعة من طلبة العلم، وأكثروا على سماحته بشأنها . . ومع هذا فقد تلمظ للشيخ عبدالله، وقال : أنت أحد أولادي والوالد يقسو على أولاده وقد يضطر لعقابهم بما يراه، إلا أن ذلك لا يغيّر من الأبوة شيئاً<sup>(١)</sup> .

(١) راجع في هذه الأخلاق من ٥ - ٨ ( مجلة البحوث الإسلامية ) العدد ١٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٩ مقال للشيخ عبدالله بن منيع، وقد أورد فيه شواهد =



## ب - من صفاته :

- ١ - منحه الله ذاكرة قوية، وحافظة نادرة، فكان مع حفظه لأقوال العلماء، ومعرفته لمظانها من كتب العلم، كان يحفظ كثيراً من القصائد المطولة، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ ثلاثمائة صفحة تقرأ عليه، ثم يملي ما يرى مستحضراً كل ما مرّ فيها من الجزئيات، ولم يكن غريباً منه أن يدل القارئ على مواضع الأبحاث في كتبها ذاكرة رقم الصفحة أحياناً .
- ٢ - بدت علائم الذكاء عليه وهو صغير، يقول الشيخ عبدالله بن منيع رواية عنه - رحمه الله - : كنت في آخر العام الثاني من عمري فدخلت والدتي غرفة نومها، فرأيتها تبحث عن شيء فظننت أن ذلك الشيء الذي تبحث عنه مكحلتها، فأشرت إليها أن المكحلة في طاق الغرفة، ففرحت بإشارتي وضممتني ضمة، لا أزال أتذكرها حتى يومي هذا .
- وكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات، فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولا ينطلي عليه كيد أو احتيال . ورغم أنه لم يحمل الساعة في حياته فإنه يدرك الوقت ولا يكاد يخطئ فيه بضع دقائق .
- ٣ - قد رزقه الله قلباً طاهراً، فهو لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى؛ فكان يصفح ويتجاوز .

وهذه صفات نبيلة قلّ أن يقوى عليها، إلا من رزقه الله علماً وحلماً وبُعد بصيرة، وتقوى لله عز وجل . ومع هذه الصفات فقد آتاه الله مهابة في نفوس الناس .

٤ - ولحرصه على أن تكون صفاته مستمدة من تعاليم القرآن، فقد كان يتنزّه عن الغيبة والحديث في الآخرين بما يكرهون، وقد كان هذا سجيّة فيه منذ حداثة سنه، هذا إلى جانب الحظ الوافر من الشجاعة وقوة الشكيمة في الحق، حيث لا يخاف في الله لومة لائم أياً كان المخاطب .

٥ - عرف عنه - رحمه الله - إطالة التأمل، والتعمق في الأمور، وبُعد النظر فيما يعرض عليه من القضايا التي جدّت في الحياة، فكان لا يتعجل حتى يمعن في الدرس والتأمل، والنظر في العواقب . ومن ذلك هذان المثالان :

أ - سئل عن افتتاح حمام فني فكتب ما نصه : لا أرى فتح مثل هذا الحمام في هذا البلد؛ لأن الضرر سيكون أكبر من النفع، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر على بال الذي أسسها، ومهما حرصت الآن على مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية، فإنك لن تستطيع ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب .

ب - وسئل عن إنشاء صندوق لسائقي السيارات فأجاب : إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعاً خيراً يحتاج إلى تقييد؛ لأنه وإن كانت طرق الخير مفتوحة أمام الراغبين إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلك، لئلا

تكون وسيلة إلى استباحة أشياء لا تجوز تحت اسم الشيء المسموح .

ونظرته - رحمه الله - البعيدة للاحتتمالات التي تفتح مجالاً غير مناسب، هو ما يحرص عليه كثير من علماء الإسلام في باب : سدّ الذرائع، حتى لا تفضي الأمور الصغيرة إلى الأمور الأكبر .

٦ - هذا إلى جانب ما عرف عنه من بذل وسخاء، وإكرام العلماء والقضاة، وخشيته لله، ورقة قلبه في العبادة، وملازمته إحياء الليل بالصلاة، وحرصه على التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أموره<sup>(١)</sup>.

٧ - حبه للعلم والعلماء منذ حداثة سنه، فصرف همته في العلم تعلماً وتعليماً، فرعى طلبة العلم وشجعهم وتواضع لهم، وسعى أمام ولاية الأمر في إعانتهم وتوسيع فرص التعليم لهم بنين وبنات في جميع مدن المملكة، ووضع الأسس التشجيعية لجذبهم لطلب العلم وترغيبهم فيه . ولاهتمامه الديني فقد شدد في المتابعة على أن يكون ركيزة التعليم الارتباط بشريعة الإسلام قولاً وعملاً، كما يتضح من فتاواه

---

(١) يراجع مقال الشيخ عبدالله المنيع في ( مجلة البحوث الإسلامية ) العدد ١٨ ص ٢٢٩ - ٢٣١ .

والشيخ محمد القاسم في الجزء الأول من مجموع فتاواه - رحمه الله - ص ١٥ - ١٨ .

وملاحظاته ومتابعته<sup>(١)</sup>.

٨ - ومن صفاته قال ابنه معالي الشيخ إبراهيم : كان يحفظ بعض قصائد الوعظ والزهد، ومن ذلك أبيات كان يكررها كثيراً وهي :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم  
غلب الرجال مما أعتهم القلل  
واستنزّلوا بعد عز عن معاقلهم  
وأودّعوا حفراً يا بئس ما نزلوا  
نادى بهم صارخ من بعد ما دفنوا  
أين الأسرة والتيجان والحلل  
أين الوجوه التي كانت منعمة  
من دونها تضرب الأستار والكلل  
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم  
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل  
يا طالما أكلوا دهرأ وما شربوا  
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا<sup>(٢)</sup>

٩ - ويجمل الشيخ محمد بن عثمان القاضي أوصافه بقوله : وأما أوصافه رحمه الله، فهو ربعة من الرجال، متوسط الشعر،

(١) انظر (علماء نجد في ستة قرون) ١/٨٩، ٩٣ - ٩٥ للشيخ عبدالله بن بسام .

(٢) نقلاً عن ابنه صالح بن إبراهيم .

حنطي اللون، قليل الكلام، ذو هيبة ووقار، أعمى البصر، فاتح القلب، ذو مكانة مرموقة عند الملك، وعند الناس، قام برحلة إلى مصر والشام<sup>(١)</sup> واتصل بعلمائها<sup>(٢)</sup>، وكانت رحلته ممثلاً للعلماء في المملكة. ومرض فأشار عليه الأطباء بالسفر للعلاج، فسافر إلى مصر فلم يتمثل للشفاء، فواصل سفره إلى لندن، وتعالج فيها، ولم يقدر له الشفاء، فعاد إلى الرياض، بدون فائدة تذكر<sup>(٣)</sup>.

### نوادره :

للنادرة وقع في النفس، وراحة في القلب، حيث تجلو صدأه مع رتبة العمل، والجدية المتواصلة. جاء في الأثر :  
روحوا عن النفوس ساعة فساعة، فإنها إذا كَلَّتْ ملَّتْ<sup>(٤)</sup>. والشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يهتم بالنادرة، ويتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في مداعبة أصحابه والتبسط معهم، ليسرّي عن العاملين، حيث يعاملهم كالأبناء. ومن ذلك :

---

(١) يرى ابنه معالي الشيخ عبدالعزيز أنه لم يسافر إلى الشام وإنما سافر إلى مصر فقط .

(٢) يرى ابنه معالي الشيخ عبدالعزيز أنه اجتمع بعلماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عبدالمجيد سليم رحمه الله .

(٣) انظر ( روضة الناظرين ) ٢ : ٣٢١ .

(٤) جاء في ( المقاصد الحسنة ) ٣٣٠ أنه ضعيف، وورد في ( ضعيف الجامع ) ٣١٤٠ قال السخاوي : يشهد له ما في صحيح مسلم وغيره من حديث : « يا حنظلة ساعة وساعة » .

١ - يقول الشيخ عبدالله بن منيع الذي لازم سماحته في العمل معه مدة طويلة : أذكر أنني أنا وأحمد بن قاسم مع سماحته بعد العصر في الطائف، في منطقة الهدى لعرض ما لدي من معاملات على سماحته كالمعتاد، وفي رجوعنا وجه الكلام لأحمد بن قاسم قائلاً : يا أحمد، أمك جاءت بولد ليس أخاك ولا أختك فمن هو ؟ فبهت أحمد من هذا، وقال : خلها في قبرها عفا الله عنك، وبعد أن أتاح له فرصة التأمل، قال : هو أنت يا أحمد، جاءت بك أمك؛ فتنقّس الصعداء وقال : الحمد لله فرّجت عني جزاك الله خيراً .

٢ - وأورد له هذه النادرة فقال : كان رحمه الله يحب النكتة ويسترويها، فقد صار من بعض الزملاء أن اجتمع لديه اثنان من فراشي الإفتاء فذكرهما أن الصوم يصير في الصيف، والشتاء، وكذلك الحج، هكذا فإن السنة تستدير، فإذا اجتمع الصوم مع الحج في إحدى السنين فمن منكما سيصوم ويترك الحج، ومن سيحج ويقضي الصوم، فقال أحدهما : سأحج وأترك الصوم لأيام آخر، وقال الآخر : سأصوم وأترك الحج، فذكرا لسماحته فاستدعاهما وأعيد السؤال عليهما، فاحتج الأول على تركه الصوم بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾<sup>(١)</sup> واحتج الثاني بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٤ .

فَلْيَصْحَقْ<sup>(١)</sup> . فضحك رحمه الله وقال : لقد بنيت هذه الدار على علم<sup>(٢)</sup> .

٣ - ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق أن محمد عطاء الهندي سأل الشيخ في مجلسه فقال : ماذا نصنع بالميت إذا مات في السفينة ؟ فقال الشيخ : ألقه في البحر . فقال السائل : يطفح على سطح البحر . فقال له الشيخ اعمل له مثقلاً . فقال السائل : يأكله السمك . فقال الشيخ : إذاً احمله على ظهرك ليكون معك حيث شئت .

٤ - كان من مداعبته للشيخ علي بن خميس : أن علياً تكلم يوماً بالهاتف مع مكة مخاطباً الشيخ عبدالله بن إبراهيم . فقال له الشيخ محمد : كلمت مكة يا علي ؟ . قال : نعم . قال فكلم الدرعية . فقال : لا تليفون فيها . قال : عجباً لك ! تكلم البعيد ولا تكلم القريب . . وقال الشيخ ابن عتيق : ومثل هذا يحصل من الشيخ أحياناً مع غيره .

٥ - وقرأ الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب، وهو حسن الصوت، قليل اللحن، ولكنه أخطأ في هذه القراءة بكلمة، وهي : وهذه لغة حَمِير قرأها : وهذه لغة حَمِير فقال الشيخ :

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥ .

(٢) انظر ( مجلة البحوث الإسلامية ) العدد ١٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢ مقال الشيخ عبدالله بن منيع عن الشيخ محمد .

سبحان الله ، وهل للحمير لغة<sup>(١)</sup> .

### شعره :

قليلون جداً هم الذين يعرفون عن الشيخ محمد رحمه الله تذوقه للشعر حفظاً واستشهاداً، وقولاً في المناسبات، ذلك لأنه لا يشتغل به، ولا يجعله يلهيه عن مذاكرة العلم وتعليمه . فقد روي عنه قوله الشعر، ولكن في مناسباته كالرثاء، وحفظه للشعر، ولكن للاستحسان أو للاستشهاد به مع الوقائع التاريخية، أو للشواهد العلمية من لغة وغيرها .. يقول عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : وللشيخ محمد معرفة بالعروض، ويقرض الشعر على طريقة العلماء، وقد رثى الشيخ عمر بن سليم بأربعة أبيات<sup>(٢)</sup> هي قوله :

إن المصيبة حقاً فقدنا عمرا  
أعظم بميتته رزأً بنا كبرا  
قطب القصيم، وما دون القصيم وما  
خلف القصيم وما مجرى القصيم جرى  
عليه دار الهدى، والحق بينه  
كان الحياة وكان السمع والبصرا

(١) راجع في هذا ما ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق في كتابه ( تاريخ من لا ينساه التاريخ ) ص ٢٢ - ٣٥ .

(٢) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٧ .



ارزقه يا ربنا عفواً ومغفرةً

واجبر مصيبتنا يا خير من جبراً<sup>(١)</sup>

وله مراثية في عمه الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف تبلغ  
خمسة وخمسين بيتاً ومطلعها :

على الشيخ عبدالله بدر المحافل

نريق كصوب الغاديات الهواطل<sup>(٢)</sup>

ولم أقف على بقيتها كاملة، لكن قال عنها الشيخ عبدالله بن  
عبدالرحمن البسام : إنها طويلة جيدة<sup>(٣)</sup>. لكن الشيخ محمد بن  
عثمان القاضي أورد عشرين بيتاً بالمطلع . . فقال بعده :

دموعاً على الخدين تجري بعبرة

ولوعة محزون مهاج البلابل

فقد حق أن العين تهريق ماءها

وتسكب دمعاً بالضحي والأصائل

وأن لكبدي أن تذوب وينطوي

فؤادي على حزن به متواصل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٠ في ترجمة الشيخ عمر بن سليم .

(٢) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٠٩ في ترجمة الشيخ عبدالله بن  
عبداللطيف .

(٣) انظر ( علماء نجد خلال ستة قرون ) ١ : ٧٩ في ترجمة الشيخ عبدالله بن  
عبداللطيف .

وللأنس أن يزورّ عني جانباً  
فإني مصاب القلب مذكى الغلائل  
فما مرّنا يوم فطيع على الورى  
كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمائل  
فأعظم به من فادح جلّ خطبه  
به الكل مفجوع مصاب المقاتل  
فهل أحدٌ يُرجى لسدّ اثلامه  
وفرجته هيهات ذا غير حاصل  
هو العالم التحرير والجهذ الذي  
يبين الهدى في مشكلات المسائل  
هو الناصح البذال في النصيح جهده  
وغايته كي يُتتهى عن أباطل  
إمام لعمرى عارف أهل وقته  
طيب زمان ما له من مماثل  
تقيّ نقيّ حازم ذو رزانة  
وثابت جأش في اشتداد النوازل  
حليم ذكيّ ذو دُها وسماحة  
وذو خلق زاك وحسن شمائل  
فقيه نبيه ناسك ومتورع  
وذو نصّف في أمره غير مائل

إليه تُشَدُّ اليعملات وتُمْتَطى  
ظهور الغلا من شاسعات المنازل  
وصول لأرحام وإن قطعت به  
صفوح عن الزلاّت من جهل جاهل  
فيا عين سُحِّي أدمعاً بعد أدمع  
على وجناتي واستمرّي وواصل  
سأبكيه جُهدي ما بقيت بأدمع  
وبكيه غيري من شريف وفاضل  
وبكيه طلاب العلوم بلوعة  
وأعينهم كالمستهل بوابل  
جزاه إله العالمين بجنة  
وأسكنه الفردوس أعلى المنازل<sup>(١)</sup>

وقال فضيلة الشيخ علي الرومي، قاضي التمييز بالرياض،  
وهو من تلاميذ الشيخ الملازمين : كنا في الدرس عند سماحة  
شيخنا محمد، بعد صلاة الفجر، وفي ذلك اليوم، أنشأ هذه  
الآبيات - التي رواها لنا الشيخ من ذاكرته - ليحث الطلبة على  
الاهتمام بالدروس، وزيادة التحصيل، على الفور :

واسوأته لطالب العلم الذي  
ثقلت عليه مجالس التدريس

---

(١) انظر كتابه ( روضة الناظرين ) ١ : ٣٦٣ - ٣٦٥ .

وإذا قراءته تقضت قام لا  
يلوي على ما بعد من تأسيس

هذا وفي حال القراءة قلبه  
بالفهم والإصغاء غير أنيس

ويودّ لو أن القراءة تنقضي  
في لحظة .. ماذا يقول جليسي

إن قلت إنهم لعمرى ما لهم  
من رغبة في نيل كل نفيس

إن قلت ما لهمو من الإقبال من  
إذلاجه حظ ولا تفليس

ورضوا الترسم وهو غير مفيدهم  
إن الأمانى حظ ذي التقليس

يارب واغرس خير غرس يرتجى  
منهم إغاطة ذي الخنا إبليس

يارب واجعلنا من الغرس الذي  
تختار للتنزيه والتقديس

وإبانة التوحيد محضاً صافياً  
وإزاحة التشبيه والتليس

ثم قال الشيخ علي، وقد فقدت منها بيتين لا أتذكرهما  
الآن .

وقد كتب له بعض المحبين أبياتاً رقيقة، فأجابه رحمه الله

بقوله :

عليك مثل الذي أهديت يشفعه  
تحيّة ما شدا بالبان صادحه  
في روضة من رياض الخرج باكرها الـ  
وسميّ والصيف تسقيها روائحه  
ورحمة الله ما أبدى أخو مقّت  
من الوداد الذي تخفى جوانحه<sup>(١)</sup>

فالشيخ محمد مع قدرته الشعرية، وفهمه للعروض جيداً، فإنه ينظم الشعر على طريقة العلماء في الرثاء، والتوجيه والنصح، ولم يشغل نفسه به؛ لئلا يلهيه عن المقصد الحقيقي لطالب العلم، خاصة وأن القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رأياً في الشعر منفراً. ومن هنا كانت نظرة علماء الإسلام للشعر بأنه يزري بالعلماء، كما روي للشافعي قوله - وقيل لغيره - هذا البيت :

ولولا الشعر بالعلماء يزري  
لكنت اليوم أشعر من لبيد

---

(١) المصدر : الشيخ صالح بن معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم .

## نماذج من فتاواه :

بلغ ما دوّن من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ثلاثة عشر مجلداً، طبعت في عام ١٣٩٩هـ بمطابع الحكومة . والمستعرض لهذه الفتاوى يلاحظ أن سماحته قد أفتى في كثير من الأمور التي جدّت في هذا العصر، مما يتضح معه سعة أفقه، ووفرة علمه، وأن الفقه الإسلامي، وعلماء الإسلام ليسوا بمعزل عن واقع حياة الناس، وما يطرأ عليهم في التنظيم، وما تسير به حياتهم .

وما نورد هنا من نماذج، ما هي إلا نبّراس لمنهجه رحمه الله في الإفتاء، وطالب التوسع والراغب في الاستزادة، يجد بغيته في مجموع فتاوى ورسائل سماحته، التي بلغت ٤٥٧٥ فتوى ومسألة .

فتحت رقم ١٥٧٧ حول الجزارين الذين يبيعون اللحم بسعر زائد عما يبيعه غيرهم، يقول : إنه يتعيّن إلزامهم بالبيع مثل ما يبيع غيرهم<sup>(١)</sup> .

وبرقم ١٥٨٠ حول ما يعمله بعض التجار والشركات، من تقديم هدايا للجمهور على ما يشتريه من محلّهم من بضاعة، وطلب الإعلان عن ذلك في الصحف، يقول : لا يجوز السماح لمثل هذه الأشياء، ولا يباح استعمالها، إذ إنّها من أكل أموال

(١) مجموع فتاوى سماحته ٧ : ٧٥ .

الناس بالباطل، فينبغي سدّ الباب إلى الحرام، فمن الحزم قطع الطريق على كل ممّوه نهّاب، يحتال على أموال الناس بشتى الحيل<sup>(١)</sup>.

وبرقم ١٦٥٦ أجاب على رسالة وجهت إليه باستفتاء عن حكم بيع أوراق العملة بعضها ببعض إلى أجل متفاضلاً، فمثلاً : الدينار العراقي يساوي ١١ ريالاً، هل يجوز بيعه إلى أجل باثني عشر ريالاً...؟ إلخ .. فأجاب بما نصه : الذي يظهر لنا عدم جواز بيع بعضه ببعض إلى أجل بأكثر من ثمنه الحاضر؛ لأنه وسيلة إلى الربا، بل هو باب من أبواب الربا، إذ أنزل البدل منزلة المبدل، فلو لم يكن فيه إلا سد الذرائع لكفى، و : « من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » أخرجه البخاري ومسلم . والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وبرقم ١٦٩٨ أجاب على رسالة استفتى صاحبها عمن أقرض رجلاً دراهم - أوراقاً نقدية - ثم أرادت الحكومة تغيير تلك السكة بسكة أخرى فما الواجب دفعه لوفاء هذا القرض ؟ فكان جوابه - رحمه الله - : ذكر الفقهاء رحمهم الله أن السلطان إذا منع التعامل بالسكة فلا يلزم المقرض قبولها إذا ردها عليه المقرض؛ لأنها أصبحت كالمعيبة، وحينئذ يكون للمقرض قيمتها وقت القرض، بالنسبة إلى النقود الأخرى، التي لم تغير، فيدفع له

(١) مجموع فتاواه ٧ : ٧٧ .

(٢) مجموع فتاواه ٧ : ١٨٢ .

المقترض قيمة ما كانت تساويه وقت القرض، بالنسبة إلى الذهب مثلاً<sup>(١)</sup>.

وبرقم ٦٤٦ يجيب على سؤال من قال : إنه مسلم في إيطاليا مع زميله، ولا يوجد هناك مساجد ولا أذان ولا جماعة، والبلد ما فيه إلا كنائس، ويذكر أنه محتار . فكان الجواب : لا حيرة في ذلك يصلي هو ورفيقه الصلوات الخمس في مكان سكناهم بأذان وإقامة لكل صلاة<sup>(٢)</sup>.

وبرقم ٦٨٧ جاء الجواب التالي لمن لا يستطيع السجود على رجله للمكرم ثاني المنصور : فقد بلغنا ما حصل لك من مشقة الإمامة، وعلمنا أنه يحصل في إمامتكم نقص، حيث إنك لا تستطيع السجود على رجلك المصابة، بل تمدها أمامك، وهذا فيه نقص في الإمامة كبير، وأنت لا يخفى عليك مثل هذا، قال في حاشية الروض المربع ٢٥٠/١ قوله : ولا عاجز عن ركوع أو سجود . الظاهر أن الذي يمد رجله عند سجوده، أو لا يقدر على السجود على شيء من الأعضاء السبعة، لا تصح إمامته إلا بمثله، إلا إمام الحي المرجو زوال علته . وحيث لا ضرورة هناك تدعو لبقائك إماماً فقد رأينا إعفاءك من إمامة المسجد، فاعتمدوا ذلك والسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع فتاواه ٧ : ٢٠٤ .

(٢) مجموع فتاواه ٢ : ٢٧١ .

(٣) مجموع فتاواه ٢ : ٢٩٩ .



وعن أهمية الإمام للأمة قال تحت الرقم ٣٨٧٤ : نصب الإمام واجب ضروري، يسمع له ويطاع . . ثم نعلم أن الولاية تثبت بأمر : منها : نصب أهل الحل والعقد، وهو الذي نص هنا . ومنها : أن يأخذها قهراً بسيفه ومن معه، ويكون فيه الأمر الكافي، ويقهر غيره، لا يرجع إلى أحد فإنه يثبت له حكم الولاية . الثالث : أن يُعهد إليه ممن قبله . والكل والمدار هو إقامة الشرع، وحفظ كيان الأمة، والقيام بحقوقهم<sup>(١)</sup> .

وتحت رقم ٣٩٥١ كتب سماحته لرئيس محكمة الدمام قائلاً : أما بعد فقد اطلعت على الأوراق الواردة إلينا منكم برقم ٦٣١ وتاريخ ١٣/٢/١٣٨٤هـ المحالة إليكم من إمارة المنطقة الشرقية حول طلب خليفة القصيبي السماح له بتوريد لحوم الضأن الطازجة، المجمدة من استراليا ومعها شهادات رسمية تثبت أنها مذبوحة بأيدي مسلمين حسب الشريعة الإسلامية .

وعليه ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وخشية تساهل الموردين، ولأن الذكاة لها شروط أربعة معروفة، إذا اختل منها شرط لم تحل الذبيحة؛ لأنها تكون في حكم الميتة، وهذه الشروط منها : ما يتعلق بالمذكي - وهو أهلية المذكي - بأن يكون عاقلاً سواء كان كتابياً، أو مسلماً موحداً، لم يقم به شيء من موجبات الردة عن الإسلام، كالتعلق على القبور ونحوها، والخرافات الشركية، وأمور الوثنية . ومنها : ما يتعلق بصفة

---

(١) مجموع فتاواه ١٢ : ١٧٣ .

التذكية، وهو أن تذكى الذبيحة ذكاة شرعية، بقطع الحلقوم والمريء، كما ذكره الفقهاء، والاحتياط قطع أحد الودجين . ومنها : ما يتعلق بآلة التذكية، وهو أن تذكى الذبيحة بمحدد ينهر الدم ليس بسنّ ولا ظفر . ومنها : أن يُذكر اسم الله عليها عند الذبح، وأما استقبال القبلة فليس بشرط ولا واجب، وإنما هو سنة .

إذا تقرر هذا فما دام خليفة قد التزم بأن لا يورد من اللحوم إلا ما توفرت فيه الشروط المطلوبة، فينبغي إفهامه بذلك، وأخذ التعهد اللازم عليه بما ذُكرَ على صور ليتأملها بنفسه ويعطي منها وكلاءه، ومن سيتولى هذه المهمة في تلك البلدان، وعليه أن يبرهن على تطبيق ما ذُكرَ بالإثباتات الكافية من طريق المفتي الشرعي في تلك البلاد إن وجد، وإلا فبواسطة السفارة السعودية، فإذا تحقق ما ذُكرَ فلا بأس بالسماح له بتوريد اللحوم المذكورة، وإلا فلا نسمح لأحد يتخذ فتوانا وسيلة لمقاصده، ثم يتهاون بشيء مما ذُكرَ، وهذا من باب الأمانة، يتعين عليه مراعاتها، وتقوى الله في ذلك، وعلى الجميع مراقبة ما ذُكرَ بصورة مستمرة، والله الموفق والسلام<sup>(١)</sup>.

وهكذا يجد المتابع لفتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - حرصه على الإحكام والجدية والحيطة حتى لا تُتخذ فتاواه ذريعة لفتح باب ينفذ منه المتساهل، وصاحب

(١) مجموع فتاوى سماحته ١٢ : ٢١٢ - ٢١٣ .

الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفقهها ————— د. محمد بن سعد الشويعر

الغرض والهوى، ولقد كان - رحمه الله - جبلاً أشم، بهيئته وعلمه وشجاعته .

### وفاته :

اتفقت أقوال من كتب عن وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم، أنه - رحمه الله - توفي عام ١٣٨٩هـ ولكن الاختلاف في تحديد العمر، فالشيخ عبدالله بن منيع في مجلة البحوث<sup>(١)</sup> لم يحدد العمر ولا اليوم، والشيخ محمد بن عثمان القاضي اعتبر عمره ٧٨ عاماً وثمانية أشهر، والوفاة في ظهر يوم الأربعاء ٢٤ رمضان<sup>(٢)</sup>، والشيخ إسماعيل بن عتيق<sup>(٣)</sup> هو وعمر رضا كحالة<sup>(٤)</sup> قالاً : توفي عام ١٣٨٩هـ ولم يذكر اليوم والشهر ولا العمر .

وعبدالله بن سعد بن رويشد قال : توفي في يوم ٢٤ رمضان سنة ١٣٨٩هـ ولم يذكر عمره، لكنه قارنها بالميلادي عام ١٩٦٩م شهر ديسمبر، ومرة أخرى يناير ١٩٧٠م<sup>(٥)</sup> .

أما الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ، فكان أكثر تحديداً عندما قال : توفي يوم الأربعاء، ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ عن عمر بلغ ٧٨

---

(١) العدد ١٨ ص ٢٣٨ .

(٢) انظر ( روضة الناظرين ) ٢ : ٣٢١ .

(٣) انظر ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٤٩ .

(٤) انظر ( المستدرك على معجم المؤلفين ) ص ٥٨٢ وقارنها بالميلادي عام ١٩٦٩م .

(٥) انظر ( قادة الفكر ) ص ٤٠٦ .

عاماً، وثمانية شهور، وثمانية أيام<sup>(١)</sup>.

إلا أن الشيخ عبدالله بن بسام قال في كتابه ( علماء نجد خلال ستة قرون ) : إنه ناهز الثمانين من عمره، وهو في نشاطه وفي أعماله ومهام منصبه، ثم أُصيب بمرض عضال فسافر من أجل علاجه إلى لندن مرتين، وعاد في المرة الثانية وقد أثقله المرض، وفي يوم الأربعاء بعد الظهر، من يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٨٩هـ انتقل إلى رحمه الله تعالى، فَصُلِّيَ عليه بعد صلاة العصر في جامع الرياض الكبير، وكان الجمع حاشداً والزحام شديداً، حيث خرجت الأمة كلها لتشيع الفقيد، وكان على رأس المشيعين جلالة الملك فيصل، وفيهم الأمراء والعلماء والوزراء والأعيان، ودُفِنَ في مقبرة العود بالرياض، وحضر العزاء في بيت الفقيد الملك فيصل، وأبدى أسفه الشديد على الفقيد، وظهر أثر ذلك على جلالته، وترحم عليه وأثنى عليه، وذكر خسارة البلاد بوفاة، وواسى أفراد أسرته والحاضرين من العلماء على عادته في تقدير المواقف ومعرفة الرجال .

والحقيقة أن الشعب هزته وفاته، وأصيب أفراده جميعاً بالفزع لفقده، ورأوا أنهم فقدوا شخصية كبيرة غالية، من أعز أبناء البلاد عليها، لا سيما أهل العلم الذين يرون فيه الوالد والشيخ والرئيس والمرجع .

ولا شك أن البلاد فقدت بموته شخصية كبيرة في علمها

(١) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٩ .

وعملها ومركزها ومقامها<sup>(١)</sup> .

وقال عبدالرحمن آل الشيخ : إن الذي أمّ الناس بالصلاة عليه الشيخ عبدالعزيز بن باز، وأن الشيخ خلف أربعة أبناء هم الشيخ عبدالعزيز، والشيخ إبراهيم، وأحمد وعبدالله - الذي أصبح فيما بعد وزيراً للعدل -<sup>(٢)</sup> .

وقد رثاه جمع من العلماء والأدباء شعراً ونثراً، وخصصت مجلة الدعوة عددها ٢٣١ الصادر يوم ١٣/١٠/١٣٨٩هـ للشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - .

وقد ذكر الشيخ إسماعيل بن عتيق أسماء الذين رثوه شعراً فبلغ عددهم عشرين اسماً، وعدد أبيات كل واحد منهم، فبلغ مجموعها ٤٨٢ بيتاً، وقد أفرد لها في كتاب واحد ووعد بإخراجها<sup>(٣)</sup> ، فرحم الله الشيخ محمداً، فإنه بحر في علمه، جبل في تصديه للملومات، بعيد الغور في حلمه ونظره البعيد للأمر، ورعاً في أعماله وفتاواه، حريصاً على سدّ الذرائع؛ خوفاً من انفتاح باب الفتن، وولوج أصحاب الأهواء، ذا صفات عديدة، ينطبق عليه قول الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال  
ولا ولد يموت ولا يعير

(١) انظر كتابه ( علماء نجد ) ١ : ٩٥ - ٩٦ .

(٢) انظر ( مشاهير علماء نجد وغيرهم ) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) انظر ( تاريخ من لا ينسأه التاريخ ) ص ٥١ - ٥٢ .

ولكن الرزية فقد شخص

يموت بموته خلق كثير

ويذكر محمد القاضي : أنه صَلَّى عليه صلاة الغائب في عموم المملكة، ومنها الحرم المكي، والمدني، وخلف مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات<sup>(١)</sup>.

وعندي أن أصبح من حدد عمره بالعام والشهر واليوم هو الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ؛ لأن ولادته - رحمه الله - تعينت في ١٧ محرم ١٣١١هـ، ووفاته في ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ .

### الخاتمة :

في هذه العجالة من سيرة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، لا أدعي أنني وفيته حقه، وإنما أملت بيسير من أخبار حياته، اقتفيتها من المصادر التي وقع عليها نظري .. وقد تراءى لي من الخطوات التي مرّ بها كل من درس حياة هذا العالم الفذ، أنهم جمعوا بعض أخباره ولم يستقصوها؛ لأن في أذهان من عاصره وعاشه من قضاة وعلماء، وطلاب علم وأصحاب قضايا الشيء الكثير والكثير جداً، مما يعطي جوانب عديدة في حياة هذا الرجل .. ولذا فإنه في حاجة إلى الاهتمام والدراسة، والتحليل لمكانته وما تنطوي عليه نفسه المُنحبة للخير .

(١) انظر (روضة الناظرين) ٢ : ٣٢١ .

فمحمد بن إبراهيم العالم والأصولي .  
ومحمد بن إبراهيم المفتي وكبير القضاة .  
ومحمد بن إبراهيم المعلم، ومنهجه في الترغيب في العلم،  
وفي التعليم .  
ومحمد بن إبراهيم الأب العطوف على طلاب العلم وعلى  
القضاة .

ومحمد بن إبراهيم الداعية والحريص على سد الذرائع .  
كل هذه الجوانب وغيرها مما يتعلق بشخصية الشيخ  
محمد بن إبراهيم - رحمه الله - العلمية، وشجاعته في الحق،  
وتصديه للبدع؛ خوفاً من انفتاح باب الفتن، يستحق من الباحثين،  
وخاصة في الدراسات العليا التخصصية، من يهتم به، دراسة  
وتحليلاً .

فهو واحد من العلماء النابهين، الذين منحهم الله علماً  
وجاهاً، وذكاء وقوة ذاكرة، وإدراكاً لكل جديد في حياة الدولة،  
التي عاصر مسيرتها في طور البناء والتأسيس حتى رست الدعائم،  
واستوت قائمة تماشي غيرها، فكان عضداً قوياً لولاة أمرها منذ  
عهد مؤسسها الأول الملك عبدالعزيز، ثم مع أبنائه من بعده  
مشاركاً بالرأي الحصيف، ومدافعاً عن دين الله بكل مقدرة، ووفياً  
في العمل والنصح مع ولادة الأمور .

وجدير بعالم كالشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - أن  
يحظى بدراسات عنه وزهده، وحسن إدارته للأعمال، وقدرته

على الوسطية في كل أمر . . وما ذلك على أبناء هذه البلاد بعسير، وهم الذين يدركون الظروف البيئية والمعاشية، والنظرة الاجتماعية للعصر الذي عايشه الشيخ محمد، لتبرز أمامهم بالحجة والبرهان مكانة هذا العالم وبُعد نظره للأمور . . خاصة وأن الدارس لأي جانب من الجوانب العلمية والإدارية في حياة الشيخ، يجد آثاراً حية في أذهان تلاميذه، وَمَنْ عمل معه من الموظفين والقضاة . . وهذا مما يعين في تجميع المعلومات المعينة على الدراسة، قبل أن تنصرف الآجال ببعضهم، فتذهب معهم المعلومات المطوية في الصدور .